جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

القضية الفلسطينية
في مسرحيات علي أحمد باكثير الطويلة
دراسة تحليلية نقدية

إعداد
وائل صلاح إسماعيل
قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

القضية الفلسطينية في مسرحيات علي أحمد باكثير الطويلة دراسة تحليلية نقدية

وائل صلاح إسماعيل محمود
قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، مصر
البريد الإلكتروني: Waelsala.2034@azhar.edu.eg

الملخص:

في هذا البحث سوف أخصص الحديث عن مسرحيات باكثير الطويلة ، وأتناول فيها – بحول الله تعالي وعونه – الحديث عن القضية الفلسطينية وأبعادها السياسية والتاريخية والاجتماعية والمأساوية، منذ بداياتها الأولي وهي فكرة صهيونية شيطانية في أذهان اليهود حتى صارت واقعًا مؤلمًا وحزينًا في حياة العرب والمسلمين، وهذا البحث المتواضع الذي يتناول تلك المسرحيات الخمس المطولة يعد أول دراسة – بحسب علم الباحث – تتناول تلك المسرحيات الطويلة بالدراسة والبحث، بخلاف مسرحياته الأخرى القصيرة فهناك من تناولها بالدراسة والبحث ، حيث توجد دراسة أخري تتعلق بمسرحيات باكثير السياسية القصيرة، وهي بعنوان "جماليات البناء الفني في مسرحيات علي أحمد باكثير القصيرة " للدكتور عبد الحميد الحسامي .اضافة إلي دراسة أخري قريبة من هذا الشأن لكنها تتعلق بمسرحيات باكثير الشعرية وهى بعنوان"علي أحمد باكثير ومسرحه الشعري " الشاعر والربيع نموذجًا للباحث المغربي " فريد أمعضشو، و" أدب باكثير المسرحي الجزء الأول المسرح السياسي" لأحمد السعدني، وسوف تسير هذه الدراسة مهتدية بالمنهج الوصفي التحليلي، حيث إن المنهج الوصفي هو المنهج الأقرب لدراسة ظاهرة أدبية أو قضية إنسانية، حيث إن اول خطوة يقوم بها هي وصف ملامح وأبعاد القضية، ثم يعرض لرؤية الكاتب أو الأديب التي عالجت تلك القضية، وتأتي أهمية هذه الدراسة في إلقاء الضوء علي أعمق القضايا وأشدها أسىً وتأثيرا في حياة الأمة العربية والإسلامية علي حد سواء .

الكلمات المفتاحية: القضية الفلسطينية، المسرح، على أحمد باكثير، الطويلة، دراسة تحليلية.

The Palestinian issue in Ali Ahmed Bakathir's long plays: A critical analytical study

Wael Salah Ismail Mahmoud.
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Itay al-Baroud, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Waelsala.2034@azhar.edu.eg

Abstract:
In this research, I will devote the discussion to Bakathir's long plays, and in them - with the help and help of God Almighty - I will discuss the Palestinian issue and its political, historical, social and tragic dimensions, from its initial beginnings, which was a satanic Zionist idea in the minds of the Jews, until it became a painful and sad reality in the lives of the Arabs. And Muslims, and this modest research that deals with those five long plays is the first study - according to the researcher's knowledge - that deals with those long plays through study and research, unlike his other short plays. There are those who have dealt with them with study and research, as there is another study related to Bakathir's short political plays, and it is entitled "Aesthetics." The artistic structure in Ali Ahmad Bakathir's short plays by Dr. Abdel Hamid Al-Hassami. In addition to another study close to this matter, but related to Bakathir's poetic plays, which is entitled "Ali Ahmad Bakathir and his poetic theater," The Poet and the Spring, as a Model by the Moroccan Researcher Farid Amadasho, and "Bakhathir's Theatrical Literature." The first part is "Political Theater" by Ahmed Al-Saadani. This study will be guided by the descriptive and analytical method, as the descriptive method is the method closest to studying a literary phenomenon or a human issue, as the first step it takes is to describe the features and dimensions of the issue, and then presents the view of the writer or writer that... I addressed that issue, and the importance of this study lies in shedding light on the deepest, most sad and influential issues in the life of the Arab and Islamic nation alike.

Keywords: The Palestinian issue, THeater, Ali Ahmed Bakathir, Al-Tawila, an analytical study.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي الصادق الأمين ، المبعوث رحمة للعالمين ، وحرزًا للأميين ، وخاتما للأنبياء والمرسلين ، سيدنا ونبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فقد شغلت القضية الفلسطينية حيزًا كبيرًا وواسعًا في مجال الأدب العربي عامة وفي مجال الفن المسرحي بصفة خاصة ، واحتلت مكانة كبيرة وموقعًا بارزًا في ساحة الأدب العربي الحديث والمعاصر ، وذلك لما تمثله فلسطين من أهمية كبري في نفوس الأدباء والشعراء العرب ، حيث إن قضية فلسطين تعد بلا شك قضية العرب والمسلمين المحورية الأولي في حياتهم وفي محيطهم العربي والإسلامي، وليست قاصرة علي أهل فلسطين فحسب ، وهي محور الصراع العربي والصهيوني علي امتداد عقود وأزمان بعيدة ، وستبقي كذلك حتي يأذن الله تعالي باسترداد أرض فلسطين كاملة ، وتحرير الأقصى الشريف ، ودحر الصهاينة اليهود ، ولو كره الكارهون .

وقد اهتم الأدباء والكتّاب العرب بالقضية الفلسطينية اهتمامًا بالغًا وكبيرًا ، فاق اهتمامهم وانشغالهم بأي قضية أخري ، وأفردوا لها مساحة واسعة في أعمالهم وكتاباتهم الأدبية علي مرّ العصور .

وعلي الرغم من كثرة الأعمال الأدبية شعرًا ونثرًا التي تعرضت للقضية الفلسطينية والتي واكبت الصراع العربي الإسرائيلي علي امتداد عقود طويلة إلا أنه يبقي لفن كتابة المسرحية الأدبية تفوق وسبق علي سائر الأجناس الأدبية الأخرى في معالجة تلك القضية البالغة معالجة واعية وشاملة .

وتميز كتّاب المسرحية الأدبية بالتناول الفريد والدقيق للقضية الفلسطينية وأبعادها وزواياها المختلفة والمتعددة ، وذلك لما تمتاز به المسرحية الفنية من تعمق وشمولية في تناول وعرض الأحداث والصراعات التي ارتبطت بتلك

القضية ، ومن تصوير شامل ودقيق لانفعالات ومشاعر الشخصيات في المسرحية ، وتنوع واختلاف في درجة تصاعد الأحداث ، ومن تنوع وتعدد المشاهد والمناظر المسرحية، مما يقف بالجمهور علي الإلمام والإحاطة بكافة أبعاد وزوايا القضية محل المعالجة والعرض .

ولا تكاد تجد كاتبًا مسرحيا تفرّغ وأخلص للقضية الفلسطينية و توحّد بها مثل الأديب والكاتب العربي الكبير "أحمد علي باكثير"، حيث استولت قضية فلسطين علي كيانه الإنساني وفكره الأدبي ، ومنحته من أسرارها وخباياها ما لم يحظ به أديب آخر ، فبادلها هو الآخر عناية واهتماما بالغًا، وأفرد لها حيّزًا واسعًا وكبيرًا من إبداعه الأدبي والمسرحي ، حيث تجاوزت مسرحياته الفلسطينية الخمسين مسرحية ، ما بين مسرحيات قصيرة وطويلة ، تابع أثناء كتابة تلك المسرحيات بخياله وفكره المأساة الفلسطينية قبل وقوعها، ووضع بمخيلته سيناريوهات تحققت بالفعل، ووقف عند التفاصيل و ذكر الأسماء الواقعية، و كان يرى أن الحرب العالمية الثانية لم تكن سوى تنفيذا للتآمر على فلسطين، . بدأ مشواره المسرحي سنة ١٩٤٤ م بكتابة خمس مسرحيات فلسطينية طويلة،و أزيد من خمسين مسرحية قصيرة أخري تناولت وعالجت القضية الفلسطينية .

ونظرًا للظروف العصيبة التي تعصف بنا وبأمتنا العربية من تكالب الأمم والأعداء علي بيضتها ،ومن تجدد وتمدد البغي والعدوان الصهيوني السافر علي أهلنا في غزة وفلسطين، وسعيه الشيطاني المتواصل علي تهجيرهم وتفريغهم من أرضهم وديارهم بغير حق، فقد استعنت بالله تعالي ويممت وجهتي البحثية صوب الكتابة حول تلك القضية من خلال ما أبدعه الكاتب الكبير "علي أحمد باكثير" حول قضية فلسطين في أدبه المسرحي وذلك لعدة أسباب منها :

– سبق باكثير وتفرده الواضح بين أدباء عصره في معالجة قضية فلسطين معالجة فريدة وشاملة، وكذلك وفرة وغزارة إبداعه ونتاجه المسرحي في معالجة تلك القضية المحورية .

- استشراف باكثير ونبوءته الأدبية المبكرة بمخططات وسناريوهات الصهاينة التي رسموها ووضعوها من أجل احتلال فلسطين وإقامة كيان لهم بها .
- قدرة الفن المسرحي وتفرده عن الأجناس الأدبية الأخرى في عرض القضية الفلسطينية عرضا حواريًا مثيرًا ومشوقًا .
- محاولة ربط الماضي بالحاضر ، والأصالة بالمعاصرة ، والرغبة في إسقاط دور الأدب وفنونه المختلفة علي قضايا الأمة والمجتمع من أجل تفعيل دوره وبيان أثره في الحياة .

وفي هذا البحث سوف أخصص الحديث عن مسرحيات باكثير الطويلة الخمس، وأتناول فيها – بحول الله تعالي وعونه – الحديث عن القضية الفلسطينية وأبعادها السياسية والتاريخية والاجتماعية والمأساوية ، منذ بداياتها الأولي وهي فكرة صهيونية شيطانية في أذهان اليهود حتى صارت واقعًا مؤلمًا وحزينًا في حياة العرب والمسلمين .

وهذه المسرحيات الخمس التي يتناولها البحث بالترتيب الزمني هي مسرحيات (شيلوك الجديد التي نشرت سنة ١٩٤٥م ، ومسرحية " شعب الله المختار "نشرت سنة ١٩٥٦ م ، ومسرحية " إله إسرائيل "سنة ١٩٥٩ م ، ومسرحية " لباس العفة " سنة ١٩٦٣ م ،ومسرحية " التوراة الضائعة " التي كتبها في سنة ١٩٦٨م .

وهذا البحث المتواضع الذي يتناول تلك المسرحيات الخمس المطولة يعد أول دراسة – بحسب علم الباحث – تتناول تلك المسرحيات الطويلة بالدراسة والبحث ، بخلاف مسرحياته الأخرى القصيرة فهناك من تناولها بالدراسة والبحث ، حيث توجد دراسة أخري تتعلق بمسرحيات باكثير السياسية القصيرة ، وهي بعنوان " جماليات البناء الفني في مسرحيات علي أحمد باكثير القصيرة " للدكتور عبد الحميد الحسامي .اضافة إلي دراسة أخري قريبة من هذا الشأن لكنها تتعلق بمسرحيات باكثير الشعرية وهى بعنوان " علي أحمد باكثير ومسرحه الشعري "

الشاعر والربيع نموذجًا للباحث المغربي " فريد أمعضشو ، و" أدب باكثير المسرحي الجزء الأول المسرح السياسي " لأحمد السعدني . وهناك من الأعمال المسرحية لأدباء آخرين تعرضت للقضية الفلسطينية مثل " فلسطين في المسرح المصري " لمحمد الرفاعي ، القضية الفلسطينية في المسرح المصري للدكتور سيد علي إسماعيل ، "فلسطين والقدس في المسرح العربي المعاصر " لحفناوي بعلي .

وسوف تسير هذه الدراسة مهتدية بالمنهج الوصفي التحليلي ، حيث إن المنهج الوصفي هو المنهج الأقرب لدراسة ظاهرة أدبية أو قضية إنسانية ، حيث إن اول خطوة يقوم بها هي وصف ملامح وأبعاد القضية ، ثم يعرض لرؤية الكاتب أو الأديب التي عالجت تلك القضية.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في إلقاء الضوء علي أعمق القضايا وأشدها أسىً وتأثيرا في حياة الأمة العربية والإسلامية علي حد سواء .

أما عن هيكل الدراسة في البحث فتأتي مشتملة علي مقدمة ، وتمهيد وثلاثة مباحث ، تحتوي المقدمة علي التعريف بفكرة البحث وأهميته وأسباب اختياره ، ثم التمهيد وأتناول فيه تسليط الضوء علي القضية الفلسطينية في المسرح العربي الحديث ، ثم المبحث الأول وهو بعنوان " علي أحمد باكثير " حياته وفنه المسرحي ، ثم المبحث الثاني وهو بعنوان " المدارات الموضوعية في مسرحيات باكثير الفلسطينية الطويلة ،ثم المبحث الثالث بعنوان "تقنيات الفن في التعبير عن القضية الفلسطينية في مسرح باكثير ، ثم بعد خاتمة البحث وبها أهم النتائج والتوصيات . والله تعالي من وراء القصد وهو الهادي إلي سواء السبيل .

التمهيد

القضية الفلسطينية في المسرح العربي الحديث

يحتل الفن المسرحي أهمية كبري وبالغة بين الفنون الأدبية الأخرى ، علي الرغم من حداثة نشأته ووجوده في الأدب العربي ، فمن خلاله يتمكن المبدعون من تصوير الحياة تصويرا دقيقا وبالغًا ،والتعبير عما يصطرع فيها من أفكار، وما يدور فيها من أحداث وصراعات بين البشر ، وتعد " الدراما هي أقرب محاكاة للحياة من جميع الفنون الأخرى المقروءة ، والمنظورة ، والمسموعة علي السواء " [١] .

والدخول في ساحة الكتابة المسرحية والإبداع في هذا المجال الجديد ليس بالأمر الهين اليسير ، حيث إن " فن المسرحية هو أكثر فنون الأدب حاجة إلي نضج الملكة ، وسعة التجربة ، والقدرة علي التركيز والإحاطة بمشاكل الحياة والإنسان ، لا لأنه يتعمق إلي جذور الحقائق الإنسانية ويكشف الغطاء عنها فحسب ، ولا لأنه الفن الذي لا يمكن أن يسلم قياده إلي الفنان الذي يستطيع أن يتقمص مشاعر الآخرين ، وأن يجاوز حدود نفسه إلي سواه . فنان قادر علي التأثير بالجماعة الإنسانية التي يعيش معها والتأثير فيها .

من أجل هذا وغيره كان فن المسرحية أكثر فنون الأدب استعصاءً علي كاتبه ، وأشدها حاجة إلي مهارة فنية خاصة تستطيع أن تؤلف بين عناصر هذا الفن المتشعبة من قصة وممثل ومسرح وجمهور وحوار ، وان تخضع في غير افتعال لقيود المسرح والتزاماته . وأن تتعاون كل هذه العناصر في غير تضارب أو تنافر حتي يصل الكاتب إلي عمل فني متكامل متناغم. [٢]

---

(١) المسرحية بين النظرية والتطبيق محمد عبد الرحيم عنبر الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٠ م ص ٩١ .

(٢) دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن دكتور محمد زكي عشماوي طبعة دار الشروق الطبعة الأولي سنة ١٩٩٤ م ص ٩ .

وقد فرض العصر الحديث بأحداثه السريعة المتلاحقة في الوطن العربي علي الأدباء والكتّاب العرب أن يستعينوا بالفن المسرحي، وأن يولوا وجهتهم الفنية صوب الكتابة المسرحية الدرامية ، لتصوير تلك الأحداث ومعالجة القضايا العربية الراهنة ، وذلك نظرا لقدرة الفن المسرحي رغم حداثته ووعورته علي استجلاء الحقائق، وتعمق الأحداث ، ومعالجة القضايا بدقة وتعمق وشمولية أكثر من أي جنس أدبي آخر .

فالأزمات التي مرت بها مصر والعالم العربي علي مدي العصور كانت خميرة طيبة تفتحت عن ذلك النوع من الاستبصار والإدراك الشامل للحياة في شتي جوانبها ، وفي ترابطها ، ومن جهة أخري كان عصرنا الحديث هذا هو عصر النهضة بالنسبة لمصر وللعرب والشرق الإسلامي كله ، وفي عصور النهضة تبرز ألوان مختلفة من الصراع والقلق الخصب الخلّاق . وهذا وحده كافٍ للفت الأديب لفتًا قويًا إلي تيارات الحياة التي تتلاطم من حوله ، ظاهرة علي السطح أو خافية في الباطن ، واستيعاب الأديب لهذه التيارات يمده بالمادة الأولية اللازمة لأي تعبير درامي "[(١)].

وتعد قضية فلسطين قضية العرب المحورية الأولي ، وأشدها تعقيدا وتأثيرا في حياتهم . فمنذ ظهور القضية الفلسطينية في مرحلتها الأولي منذ وعد بلفور المشئوم عام ١٩١٧ م القاضي بإقامة وطن قومي لليهود علي أرض فلسطين ، ومنذ ذلك الحين وأهل فلسطين في اضطهاد وقهر من قبل اليهود بسبب إجرامهم وبغيهم المتواصل عليهم ،بمساعدة الدول الاستعمارية الكبرى لهم .

(١) قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر . د عز الدين إسماعيل طبعة دار الفكر العربي سنة ١٩٨٠ ص ٥٧ .

ولم يقف كتّاب المسرح العربي مكتوفي الأيدي إزاء تلك القضية الجوهرية ، حيث تفاعلوا معها ، وعبروا عن آمال وآلام الشعب الفلسطيني المضطهد ، وذلك من خلال العديد من المسرحيات الأدبية التي عالجت تلك القضية الكبرى من شتي الزوايا والاتجاهات .

وقد شغلت القضية الفلسطينية منذ نكبة ١٩٤٨م خواطر ونفوس الأدباء والكتّاب العرب من المحيط إلي الخليج ، فما من قطر عربي إلا أدلي أدباؤه وكتّابه بدلوهم الفني شعرًا ونثرًا في معالجة هذا الجرح العربي والإسلامي الغائر .

وأفرد المسرح العربي مساحة واسعة وكبيرة عالج فيها القضية الفلسطينية بمختلف أبعادها السياسية والإنسانية والاجتماعية منذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨ وحتى اليوم، وذلك بما كتبه وأبدعه الكتّاب والأدباء العرب في هذا المضمار من مسرحيات أدبية وفنية قوية ومؤثرة .

ولم يكن الاحتلال فقط هو من منح فلسطين هذا الحضور الأدبي الواسع ، بل عمقها التاريخي والثقافي وبروز الحضارات القديمة بها ، واجتماع الديانات السماوية الثلاث في بقعتها الصغيرة قد منحها مكانة خاصة في وجدان البشر، كما أن موقعها في سرة الكون، ومركز تقاطع مسارات التنقل البشري وحجيج المؤمنين أكسبها خصوبة حضارية، فكان لا بد لهذا الوطن الصغير مساحة الكبير منزلة ومكانة لدي العرب والمسلمين أن يكون حاضرا بقوة في نفوس وخواطر الأدباء والكتّاب العرب منذ فجر التاريخ ، فصارت فلسطين الفكرة أكبر من فلسطين الدولة .

إن الأعمال التي تناولت القضية الفلسطينية اتسمت بالحداثة والتطوير الفني، يقول الباحث المغربي د .عبد الرحمن بن زيدان في كتابه (مقامات القدس في المسرح العربي): "إن جواب الهوية لم يبق ولعاً معلقاً بنقل تجارب ونظريات مسرحية غربية دون فهم مكوناتها، ونقد مفاهيمها، ولم يعد قبولاً مطلقاً بمكوناتها، بل غدت مسألة تجريب هذه التجارب مشروطة بمعنى توظيفها التوظيف السليم

لتناول القضايا العربية الملحة مثل قضية القدس، والقضية الفلسطينية في إطارها الوجودي العالمي والإقليمي. .

وأفاد المكون التراجيدي للقضية (صراع بشر، صراع فكر وحضارة، صراع أرض ووجود، حروب، مجازر، هجرة ورحيل، حب مستحيل، فداء وبطولة، خيانة وسمسرة، نزوح ولجوء ومخيمات، مبدعين شهداء، وامتداد زمني طويل لصراع لم ينته) أفاد بتشكيل مناخات ثرية في المسرح، لم توفره قضية أخرى، فصار بإمكان المبدع تناول أية حقبة من تاريخها، ليتحدث عن راهنها، ومن هنا نرى مسرحية (شمشون الجبار) التي كتبها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، بإسقاط مباشر ودون مواربة على الصراع المعاصر، وليس فقط مجرد تسجيل للتاريخ .

وقد كثرت وتعددت الاعمال المسرحية العربية التي اهتمت وتناولت القضية الفلسطينية بحيث لا يمكن حصر تلك الأعمال المسرحية التي تناولت قضية فلسطين ، فعلي امتداد الوطن العربي ظلت فلسطين حاضرة بقوة لدي كتّاب المسرحية العربية في العصر الحديث .

وكان الحضور الأدبي المصري في هذا الشأن ماثلًا بقوة ووضوح ، وتعامل المسرح المصري مع القضية الفلسطينية تعاملا عاطفيا حماسيا في بادئ الأمر ، ثم طوّر تعامله ليصبح تعاملا مأساويا ، يعكس مأساة فلسطين في واقعها المرير المفروض علينا ، فبعد إعلان الكيان الصهيوني بأن فلسطين أصبحت دولته قام كل من فتوح نشاطي ونيروز عبد الملك بتأليف مسرحية " العائد من فلسطين " عام ١٩٤٨م ، التي عرضتها الدولة علي خشبة المسرح القومي في موسم ١٩٥٠ م ، ومسرحية " فلسطين للعرب " للكاتب " داود جمجوم " التي ألفها سمة ١٩٤٨ م ، أما الأديب المصري " عبد الرحمن الساعاتي " مؤسس المسرح المصري في جمعية "الشبان المسلمين" دورًا فاعلا في التعامل مع تلك القضية ، حيث ألّف مسرحية " صلاح الدين الأيوبي منقذ فلسطين " عام

١٩٤٨ م ، والمسرحيات الثلاث كتبت في عام النكبة نفسه ١٩٤٨ م فجاءت عاطفية حماسية لتعالج صدمة إعلان دولة الكيان الصهيوني ، ولتخفف أمر الصدمة في نفوس الفلسطينيين والعرب أجمعين في محاولة إعادة الثقة بأن فلسطين ستعود ، وسيعود جميع المشردين إلي ديارهم في فلسطين . هذا الشعور بدأ يتبدد مع مرور الزمن ، وضعف معه الأمل في العودة خصوصا وأن المخيمات اكتظت باللاجئين والمشردين ، هذا الوضع الجديد والمفهوم الجديد للقضية الفلسطينية تطرق إليه المسرح المصري من خلال مسرحية " عائدون " التي ألفها مصطفي شبانة سنة ١٩٦١ م ليحكي من خلالها مآسي اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات وما يعانونه من جوع وإذلال وموت ومرض ، وشعور بالظلم " [١].

وكان الكاتب المصري " محمود شعبان " كذلك يعد من أوائل من اهتموا بقضية الشعب الفلسطيني ، فقد زار معسكر اللاجئين في قطاع غزة ، وسجل انفعاله بما شهده هناك من مآس في مسرحية " لا حدود " سنة ١٩٦٢ م وختمها بما يشبه النبوءة ببدء حركة المقاومة المسلحة لتحرير الأرض السليبة وأهلها المعذبين الصامدين ، والحق أن قيام حركة الكفاح المسلح الفلسطيني بقيادة " فتح " كان من أهم النتائج الإيجابية التي ترتبت علي هزيمة ١٩٦٧ م ، وكان لابد أن يؤثر قيامها علي الأدب والفن العربيين ، فانعكس نضالها في مسرحيات عديدة منها " زهرة من دم " للكاتب اللبناني د سهيل إدريس ، وقد عرضت بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م ، وتصور حياة أسرة فلسطينية تعيش في الأرض المحتلة ، وتضم نماذج عديدة من الشخصيات ، يشارك بعضها في التنظيمات

(١) ينظر القضية الفلسطينية في المسرح المصري د سيد علي إسماعيل منشورات مهرجان الكويت المسرحي سنة ٢٠٠٩ م ص ٣ .

الفدائية ، ويخون بعضها الآخر ، ويتجسس لحساب الأعداء ، كما تقدم عدة نماذج من الإسرائيليين في بناء معقد يعبر عن محاولة جادة لمناصرة الشعب الفلسطيني في نضاله وهو ما يصدق أيضا علي مسرحية " وطني عكا " للشاعر المصري " عبد الرحمن الشرقاوي " التي قدمها المسرح القومي المصري سنة ١٩٦٠ م إذ لم تكتف بعرض عدة نماذج من محاولات الفدائيين الفلسطينيين صمود أهلهم ، بل قدمت كذلك جهدا من ضباط جيش الدفاع الإسرائيلي وهم يتمردون علي المؤسسة العسكرية ويتعاطفون مع نضال الفلسطينيين .

وتتابعت المسرحيات التي تعالج القضية الفلسطينية من مختلف الزوايا وبمختلف الأساليب المسرحية ، فهناك مسرحية " السر " للكاتب العراقي " محي الدين زنكنه " ، ومسرحية " دير ياسين " للشاعر السوري عدنان مردم ، وهي تسجيل فني للمذبحة الشهيرة " دير ياسين " وحرصت علي أن تقدم أسماء الشهداء الحقيقية وموقف القوات العربية التي رفضت نجدة أهل القرية ، وكذلك مسرحيتا " الغرباء " و" الفلسطينيات " للكاتب السوري علي عقلة عرسان ، ومسرحية " رسالة من جبل " للكاتب الأردني " محمود الزيودي " ، ومسرحية " زلزال في تل أبيب " للكاتب التونسي الميداني بن صالح ، وغيرها .

وقد ألهمت الثورة الفلسطينية عشرات من المسرحيات القصيرة من أهمها " الطوفان " للكاتب السوري عمر النص ، ومسرحية " الصقور " للكاتب اللبناني محمود الخطيب ، ومسرحية " ولدنا من جديد ط للكاتب المصري" السيد طليب".

ومن بغداد تأتينا مسرحية " محاكمة سرحان بشارة " للكاتب " فوئيل رسام المحامي العراقي ،ومسرحية " النار والزيتون " لألفريد فرج التي كتبها بعد زيارة مواقع العمل الفدائي في الأغوار ومعايشة أبطال المقاومة الفلسطينية وضحايا العدوان الصهيوني .

ومع هزيمة يونيو ١٩٦٧ م وحتي قبيل انتصارات أكتوبر ١٩٧٣ م تبدأ مرحلة جديدة في تناول القضية الفلسطينية في المسرح العربي ، حيث أخذت

القضية مفهوما جديدا تمثل في الدعوة إلي التمسك بالدين انتظارا للمعجزة الإلاهية في عودة الأرض ، وهذا ما فعله " فؤاد الطوخي ط في مسرحية " فلسطين للعرب " أو " بيت المقدس " التي كتبها بعد هزيمة يونيو مباشرة . والمسرحية تدور أحداثها في زمن هرقل وسيطرة الروم علي بيت المقدس ، وما دار في هذا الزمن من حروب بين الروم وعمرو بن العاص ، وانتصار المسلمين ، وما تم بعد ذلك من صلح حتي أصبحت فلسطين للعرب " [١].

وفي سنة ١٩٧١ م كتب الشاعر الراحل نجيب سرور مسرحية " الذباب الأزرق ط بعد زيارة قام بها أيضا لمعسكرات الفدائيين ومواقعهم المتقدمة ، ولم يكتف بتصوير الوضع المأساوي الدامي للشعب الفلسطيني ووحشية العدوان الصهيوني عليه بل حرص أيضا علي فضح الأوضاع العربية المتخلفة المتهرئة التي سمحت باستشراء هذا العدوان وعربدته .

وكتب يسري الجندي مسرحيته " اليهودي التائه " وتناول فيها القضية الفلسطينية في مواجهة المسألة اليهودية منذ أقدم العصور في إطار يجمع بين الأسطورة و التاريخ " [٢].

وبعد هذا السرد والاستقصاء التاريخي لبعض المسرحيات العربية التي عالجت القضية الفلسطينية يتبقى لنا أن نشير إلي رائد الكتابة المسرحية في القضية الفلسطينية وهو الأستاذ " علي أحمد باكثير الذي كان له بحق السبق والريادة في معالجة القضية الفلسطينية ، وذلك في عدد كبير من مسرحياته الطويلة والقصيرة ، في وقت مبكر لم تكن غالبية الشعب العربي قد تنبهت فيه إلي حقيقة الخطر الصهيوني وتمدده في قلب الأمة العربية .

---

(١) القضية الفلسطينية في المسرح المصري ص ٥ .

(٢) ينظر في ذلك المسرح هموم وقضايا للدكتور فؤاد دوارة طبعة شركة الأمل للطباعة والنشر الطبعة الأولي سنة ٢٠٠٥ م ص ١٦٠ .

وكتب باكثير المسرحيات القصيرة التي عالج من خلالها القضية الفلسطينية في إطار من الإيجاز والتركيز علي قضية واحدة مباشرة ، أو عدة مشاهد موجزة مركز ، مثل مسرحيات (أضغاث أحلام ، والسكرتير الأمين ، سأبقي في البيت الأبيض ،ومعجزة إسرائيل وغيرها ...

وكتب كذلك المسرحيات الطويلة التي تناول من خلالها تسليط الضوء علي القضية الفلسطينية في إطار من الشمولية والعموم ، متناولا من خلالها القضية الفلسطينية بأبعادها وجوانبها المتعددة تاريخيا وسياسيا واجتماعيا ، وله في هذا المجال خمس مسرحيات مطولة بدأها بمسرحية " شيلوك الجديد " التي كتبها ونشرها سنة ١٩٤٥ م ، ثم مسرحية " شعب الله المختار " كتبها سنة ١٩٥٦ م ، ثم مسرحية " إله إسرائيل " كتبها سنة ١٩٥٩ م ، ثم مسرحية " لباس العفة " كتبها سنة ١٩٦٣ م ، ثم أخيرا مسرحية " التوراة الضائعة " والتي كتبها سنة ١٩٦٨ م . وسوف أتناول في هذا البحث بمشيئة الله تعالي دراسة تلك المسرحيات المطولة التي عالج باكثير من خلالها القضية الفلسطينية بفنه وأدبه ، مستهلا ذلك الأمر بإلقاء الضوء علي حياة علي أحمد باكثير ومسيرته الفنية والأدبية ، وذلك في المبحث التالي :

المبـــحـث الأول :

علي أحمد باكثير (حياته وفنه المسرحي)

علـي أحمـد بـاكثير قامـةٌ إسـلامية وعربيـة سـامقةٌ فـي دُنيـا الأدب العربـي الحديث، ترك بصْماتٍ واضحةً في عددٍ من حقول هذا الأدب، امتدّ تأثيرها إلى أجيال من أدباءنا المُحْدَثين والمعاصرين. بل إنه كان، وسيظل إلى أن يشاء الله، ظاهرة إبداعية متفرِّدة في أدبنا الحديث. وقد خلّف إنتاجاً وإبداعاً أدبييْن وَفيريْن في مجالات المسرح والشعر والرواية وغيرها، تشهد كثيرٌ من متونهما بريادته في أكثر من مضمار أدبي، إلا أنه – رغم ذلك كلِّه – لم يَحْظَ – حتى الآن – بالاهتمام الذي يستحقه جزاء ما قدّم من أدب أصيل متميِّز ."فباستثناء ثلةٍ من نقادنا المعاصرين المعدودين على رؤوس أصابع اليد الواحدة، لا نرى أيَّ التفاتٍ نقدي ذي بال إلى باكثير وتراثه الأدبي الزاخر، مقارنةً مع عديدٍ مِمَّنْ عاصروه في مصر وفي غيرها من الأقطار العربية .

هو علي بن أحمد بن محمد باكثير الكندي ، أديب مصري من أصل يمني ، ولد في ١٥ذي الحجة سنة ١٣٢٨هـ الموافق ٢١ ديسمبر ١٩١٠م، في مدينة سورابايا بإندونسيا لأبوين عربيين من حضرموت. وقد بدت عليه مواهب الشعر والكتابة وهو في الثالثة عشر من عمره حتي أنه عُين للتدريس بالمدرسة قبل أن يبلغ العشرين من عمره " [١].

ثم انتقل بعد ذلك إلي مصر،واستقر بها حتي وفاته في غرة رمضان عام ١٣٨٩هـ الموافق ١٠ نوفمبر 1969 م،إثر أزمة قلبية حادة ودفن بمدافن الإمام الشافعي في مقبرة عائلة زوجته المصرية.

(١) د يسري عبد الغني . علي أحمد باكثير رائد القص التاريخي منشورات سنة ٢٠٢٠ ص ٢٠ .

ولباكثير العديد من الريادات في الشعر والرواية والمسرح ، فهو أول كاتب عربي يرمز رمزا إيجابيا للحركة الإسلامية في الرواية التاريخية العربية ، وأول من عالج قضية فلسطين في المسرح العربي ، وأول من كتب مسرحية شعرية بالشعر المرسل في اللغة العربية "[١] .

وحظي باكثير في أواخر حياته بحفاوة وتقدير رسمي رفيع حيث منحه الرئيس جمال عبد الناصر وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولي سنة ١٩٦٣م ، ومنحته هيئة رئاسة مجلس الشعب الأعلى في اليمن الجنوبية وسام العلوم والفنون سمة ١٩٨٥م " [٢].

وكان لباكثير " العديد من المواقف السياسية والاجتماعية والإنسانية والفكرية والأدبية تنطلق جميعها من منطلق واحد ، هو المنطلق العربي الإسلامي ، وأكثر ما كتب يعبر تعبيرا حيا عن هذه المواقف الملتزمة ، ولعل أبرزها قضايا تحرر العالم العربي والإسلامي "[٣] .

وكانت حياة باكثير حافلة بالعطاء الفكري والأدبي؛ ذلك بأنه خلّف لنا مجموعة كبيرة من النصوص الإبداعية الأدبية التي توزّعت بين المسرحية والرواية والشعر وغيرها. ولكنّ الملاحَظ أنه بدأ مسارَه الأدبي بنظْم الأشعار، قبل أن ينتقل إلى ربْطها بالمسرح في إطار ما يُعرَف بـ" المسرح الشعري"، وكتب

(١) علي أحمد باكثير القامة السامقة في الشعر العربي الحر د محمود محمد علي طبعة دار البشير ص ٢٩

(٢) مقال لمحمد أبو بكر حميد بعنوان علي أحمد باكثير رائد التنوير السفلي الإصلاحي في حضرموت بمجلة الأدب الإسلامي عدد ٦٢ مجلد ١٦ شهر ربيع الأول سمة ٢٠٠٩ م ص ٤٢ .

(٣) ينظر دراسة في أدب باكثير لعبد الله الطنطاوي مطبعة البيداء للنشر والتوزيع الطبعة الأولي سنة ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م ص ٨ .

أيضاً المسرحية النثرية والرواية والدراسات والمقالات الأدبية، علاوة على ترجمة نصوص من لغات أجنبية كان يُجيدها. بيد أن المسرح، بنوعيْه الشعر والنثر شكل المجالَ الأدبي الذي برع فيه الرجل وتميّز، وأبدع فيه أكثر أعماله ،وكانت قضية فلسطين شغله الشاغل والأكبر في مجال كتابة المسرحية ، وهو يعد أول من عالج قضية فلسطين في مسرحياته الأدبية معالجة فنية وأدبية منقطعة النظير بين أدباء عصره ، على نحو ما سنرى في الفصل التالي .

أما شعره فلم ينشر باكثير أي ديوان في حياته وتوفي وشعره إما مخطوط وإما متناثر في الصحف والمجلات التي كان ينشره فيها . وبهذا يتبين لنا مكانة باكثير الأدبية السامقة ، حيث كان له نشاط أدبي كبير ، وكان من بناة المسرح الشعري والنثري في مصر ، ويعد أحد رواد الأدب الإسلامي في الوطن العربي ، عمل علي توظيف العمل الفني من شعر أو مسرح أو رواية خدمة للفكر الإسلامي في أنصع صوره " [١].

و تنوع إنتاج باكثير الأدبي بين الرواية والمسرحية الشعرية والنثرية، ومن أشهر أعماله الروائية (و ا إسلاماه) و(الثائر الأحمر) ومن أشهر أعماله المسرحية (سر الحاكم بأمر الله) و(سر شهر زاد) التي ترجمت إلى الفرنسية و(مأساة أوديب) التي ترجمت إلى الإنجليزية.

كما كتب باكثير العديد من المسرحيات السياسية والتاريخية ذات الفصل الواحد وكان ينشرها في الصحف والمجلات السائدة آنذاك ، وقد أصدر منها في حياته ثلاث مجموعات وما زالت البقية لم تنشر في كتاب حتى الآن .

وغلب علي مسرح باكثير هيمنة الطابع السياسي ، الأمر الذي جرّ عليه الكثير من المتاعب والتعنت أمام نشر كتاباته الأدبية وذيوعها بين القراء ، وذلك

(١) علي أحمد باكثير دراسات في أدبه ص ٨ .

أمر معتاد ومألوف لدي الكاتب السياسي ، حيث إن الكاتب السياسي لا يدخل في مغامرة فنية صعبة مع قارئ قد يختلف أيديولوجيا فحسب ، وإنما قد يدخل أيضا في مغامرة غير مألوفة العواقب مع السلطة السياسة الحاكمة التي قد يعارضها في الرأي أو يختلف معها في المعتقد " [١].

ولا نكاد نجد كاتبا مسرحيا تفرّغ وأخلص للقضية الفلسطينية وتوحّد بها كأحمد علي باكثير ، فمسرحياته المعروفة تجاوزت السبعين مسرحية ، تابع المأساة قبل وقوعها ، ووضع بمتخيله سيناريوهات تحققت بالفعل علي أرض الواقع ، ووقف عند التفاصيل وذكر الأسماء الواقعية للأحداث . حيث حظيت قضية فلسطين بالقسط الأوفر من مسرحيات باكثير السياسية ، حيث أفرد لتلك القضية المحورية العديد من المسرحيات التي تنوعت ما بين مسرحيات طويلة ، وأخري قصيرة ، وجاءت مسرحياته الطويلة في خمس مسرحيات وهي التي سبق الحديث عنها وهي محل الدراسة والبحث ، أما عن مسرحياته القصيرة التي عالج من خلالها القضية الفلسطينية وغيرها من القضايا السياسية فمنها مسرحيات (أضغاث أحلام ، اهدمي بغداد ، سأبقي في البيت الأبيض ، ورسالة الرجل الأبيض ، ومصرع مادلين هيتكليف " التي تفضح الموقف التركي المؤيد لإسرائيل وتصور خيانة بعض الشيوخ الفلسطينيين ، ومسرحية " جلسة مع الشيطان " التي تدور في مكتب وزارة الخارجية البريطانية وتعبر عن السخط العربي للاتفاق بين تشرشل وترومان .

ومسرحية " الهدية المسمومة " التي نشرت عقب قرار انسحاب بريطانيا من فلسطين ، ومسرحية " ناخور الأمم المتحدة " التي يسخر فيها من استغلال الدول الكبرى للمنظمة الدولية . ومسرحية " في سبيل راشيل " التي يسخر فيها من

(١) الرواية السياسية د طه وادي منشورات الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان الطبعو الأولي ٢٠٠٣ م ص ١١ .

التصويت علي قرار التقسيم ، ومسرحية " شهيد القسطل " التي نشرت قبيل قيام الكيان الصهيوني بعشرين يوما ويصور فيها استشهاد البطل " عبد القادر الحسيني " في قرية القسطل بعد أن حاول قطع الطريق علي الصهاينة للوصول إلي القري العربية الأخرى .

ومسرحية " الطابور الخامس " التي نشرت قبل ستة أيام من النكبة ، والتي يصف فيها باكثير خيانة بعض اليهود المصريين الذين ساهموا في ارتكاب الجرائم الصهيونية .

ومسرحيات " السكرتير الأمين ، السوق السوداء ، في بلاد العم سام ، في سبيل إسرائيل ، ليلة ١٥ مايو التي تفاءل فيها بانتصار الجيوش العربية علي اليهود ، معجزة إسرائيل ، نشيد المارسليز ، أنا أبو بصير ، راشيل والثلاثة الكبار ، المقراض ، رئيس وزارة أم سائق سيارة ، الله حوالينا ولا علينا ،بين أطلال ألبانيا ، الصرح الشامخ ، نقود تنتقم ، ومسرحية " الخطة المزدوجة " التي تحدث فيها عن عصابة الصهاينة بزعامة مناحيم بيجين الذين يسعون غلي ضرب الأديان ببعضها البعض ، ومسرحية " ترمن وجردس " ، ومسرحية " الجولة الثانية " التي تدور أحداثها في مكتب ابن جوريون مع ممثلي أمريكا وروسيا وبريطانيا حول ضرورة عقد اتفاق سلام مع العرب تحت سقف الأمم المتحدة ، ثم مسرحية " الملك برنار باروخ الأول " التي تحكي عن الرئيس الأمريكي أيزنهاور الذي حاول إيقاف الدعم المالي لإسرائيل لدفعها إلي التراجع عن احتلال الدول العربية وما لقيه من مواجهة للضغوط الصهيونية ، ثم مسرحية " الملك عبد العزيز لم يمت " التي نشرت عام ١٩٥٤م ويصف فيها باكثير خضوع الأمريكان للصهاينة والاحتجاج علي تصريح الملك سعود بأن إسرائيل سرطان وإلغاء صفقة الأسلحة معه ....وغيرها)

ويمكن القول بأن الفن المسرحي عند باكثير هو ميدانه الرحب الفسيح ، وحلبة سباقه الفني التي لا يغالبه فيها أحد ، وكانت جُلّ اهتمامات باكثير المسرحية تتعلق بالقضايا القومية التي تحيط بالأمة أكثر من تعلقه بالقضايا

الاجتماعية داخل الأمة ، وقد أشار إلي ذلك الامر في قوله : " كان لانصرافي عن الموضوعات الاجتماعية تعليل آخر يتصل بالهدف الرئيس الذي يقوم عليه كفاحي الفني ، وذلك أني كنت دائما أشد شعورا بالأخطار الداخلية التي تهدد الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها ، مني بالأدواء الداخلية التي تفُتّ في عضدها ، وتقعد بمجتمعها عن مسايرة ركب التقدم ، أي ان الناحية السياسية كانت تستأثر بالجزء الأكبر من اهتمامي دون الناحية الاجتماعية ، لأن هذه الأخيرة يمكن إصلاحها علي المدي الطويل بعد أن خلاصنا من السيطرة الاستعمارية ونجاتنا من المؤامرات الدولية "(١).

وهو في كتاباته المسرحية السياسية التي يعالج من خلالها قضايا أمته كان يؤثر الاعتماد علي جانب المأساة أكثر من جانب الملهاة ، بمعني أنه كان يعالج القضية المطروحة بأسلوب واقعي يعتمد علي وصف المآسي والأوجاع التي تحيط بالأمة العربية ، دون التعرض لها بأسلوب فكاهي ساخر ، وقد أكد هو نفسه علي سلوكه ذلك المنحى الفني في قوله :" أعتقد أنني أبعد الناس عن الفكاهة وأقلهم قدرة علي الإضحاك والتنكيت "(٢) .

وشغلت قضية فلسطين حياته وفكره لسنوات طويلة ، واستحوذت علي القسط الأكبر من أعماله وكتاباته المسرحية ، حتي غدت تلك القضية هي لبّ أعماله الفنية ، وواسطة عقد مسرحياته الأدبية ، ويستحق باكثير بكل جدارة وثقة أن نطلق عليه رائد القضية الفلسطينية في المسرح العربي الحديث ، وفي الصفحات التالية نستعرض بشيء من التفصيل والتأصيل معالجته لقضية الصراع العربي الفلسطيني منذ بدايتها وحتي انتقال باكثير إلي جوار ربه ، بعد أن قام بدوره وبرسالته تجاه دينه وأمته خير قيام .

(١) فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية علي أحمد باكثير الناشر مكتبة مصر . ص ٤٦ .

(٢) فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ص ٢٨ .

المبحث الثاني :
المدارات الموضوعية في مسرحيات باكثير
المطولة عن القضية الفلسطينية

خلّف علي أحمد باكثير خمس مسرحيات سياسية مطولة اهتمت بمعالجة القضية الفلسطينية وتصوير أبعادها واتجاهاتها المختلفة ، وهي علي الترتيب الزمني لكتابتها " شيلوك الجديد ، شعب الله المختار ، إله إسرائيل ، لباس العفة، التوراة الضائعة .

واستعرض باكثير في هذه المسرحيات الخمس معالجة القضية الفلسطينية معالجة شاملة ووافية من مختلف الزوايا والاتجاهات السياسية والتاريخية والاجتماعية فكريا وفنيًا ،

حيث كانت قضية فلسطين تحيا في بؤرة شعور علي أحمد باكثير ، وتؤرق حياته ، فكان يسعي إلي الإسهام في إيجاد الحلول بإعمال الفكر ، وطرح الرؤي والحلول المناسبة لها ".

واستعرض القضية بمخيلته الواسعة منذ أن كانت فكرة شيطانية استيطانية في نفوس الصهاينة ومن ساندهم من الدول الاستعمارية الكبرى إلي صارت واقعًا مؤلمًا وحزينًا في نفوس العرب كافة . حتي غدت تلك المسرحيات ضربًا من النضال الفني والفكري البالغ والمؤثر الذي لم يقل خطورة أو أهمية عن النضال العسكري المسلح ، ليس هذا فحسب بل إن باكثير قد سبق بمخيلته وفكره أحداث العصر وتنبأ في تلك المسرحيات بسيناريوهات ومخططات الصهاينة التي وقعت وتحققت بعد ذلك علي أرض الواقع ، والمسرحية كما تحتوي بمقوماتها وعناصرها الفنية علي عنصري العقد والحل ، استطاع باكثير في تلك المسرحيات أن يستعرض المشكلة والعقدة في كل مسرحية ، ثم يضع لها تصورًا وحلًا مناسبًا لحجمها وخطورتها ، مما يؤكد علي أهمية ذلك الفن وخطورته في معالجة قضايا

الأمة ووضع الحلول المناسبة لها ، وهو ما سيتضح لنا من خلال تفصيل القول في مضامين ومحتويات تلك المسرحيات وأهدافها فيما يلي :

المسرحية الأولي : " شيلوك الجديد ١٩٤٥ م "

تعدُّ مسرحية " شيلوك الجديد " أول مسرحية سياسية كتبها علي أحمد باكثير ، وذلك في عام ١٩٤٥م ، وذلك قبيل النكبة بثلاث سنوات ، وفيها تنبأ باكثير بقيام الكيان الصهيوني المحتل ، و ذهب إلي أبعد من ذلك في تلك المسرحية حيث رأى أن قيام الكيان الصهيوني لن يتم إلا إذا سال الدم في المشرق العربي كله، و الحل هو فرض حصار اقتصادي على المحتل ، والعمل علي وحدة الصف العربي والوقوف معًا ضد هذا العدوان الغاشم علي فلسطين .

اقتبس باكثير هذا النص من المسرحية الشهيرة " تاجر البندقية " لوليام شكسبير، حيث شخصية "شيلوك" اليهودي المرابي الذي اشترط على التاجر" أنطونيو" رطل اللحم من جسمه، الشيء الذي تمنعه القوانين الإنسانية رغم موافقة " انطونيو" في صك العقد . .

ففي مسرحية باكثير ينتقد تنفيذ وعد بلفور لأنه يخالف القوانين الإنسانية ، و يبيد شعبا ويهجره من أرضه لصالح عصابات اليهود الصهاينة ، فهو وعد أعطاه من لا يملك لمن لا يستحق، و لا أحد يملك أن يكتب صك التخلي عن فلسطين، عكس صك "انطونيو" لدى شكسبير .

ومسرحية شيلوك الجديد هي في الواقع مسرحيتان في مسرحية واحدة ، أو هي مسرحية تتكون من جزئين :الجزء الأول صوّر فيه الكاتب العقدة أو المشكلة ، والجزء الثاني جعله خاصا بالحل ، وجعل باكثير المسرحية الأولي أو العقدة في أربعة فصول متتابعة ، واختار لها مجموعة من الشخصيات أو الأبطال هم علي الترتيب " عبد الله الفياض " وهو شاب فلسطيني ثري في الرابعة والعشرين من عمره ، تخرج في كلية الحقوق بمصر ، وعمه كاظم بك الفياض ، وهو رجل مجاهد وطني من سراة فلسطين ، وهو طبيب ومحسنٌ كبير

ووصيًا علي أموال وأراضي عبد الله . وجليلة هانم وهي زوجة كاظم بك ، وراشيل وهي فتاة يهودية متحررة خليلة عبد الله الفياض ، وخليل الدواس وهو صديق عبد الله الفياض وراشيل ، وميخائيل جاد وهو محام فلسطيني من كبار الوطنيين ويعمل رئيسا لبلدية القدس ، وكساب جاد وهو رجل وطني كبير ويعمل مأمورا في البوليس الفلسطيني ، ثم الشخصية الرئيسة في المسرحية وهو شيلوك وهو يهودي متطرف يعمل مديرًا للنشاط الصهيوني في فلسطين ، وكوهين وهو من أبرع المحامين اليهود ويعمل مع شيلوك ، وإبراهام وهو يهودي فلسطيني يقاوم الحركة الصهيونية ويدعم القضية الفلسطينية ، وزيكناخ وهو ضابط بوليس يهودي ، ثم جاك وهو رئيس لجنة شراء الأراضي الفلسطينية لليهود ، وبنيامين وهو رئيس الدعاية الصهيونية . وجوزيف وهو رئيس الجمعيات الإرهابية ، وفوزي بك وهو وطني مصري كبير ، وسلمي هانم زوجة فوزي بك ، ونادية وهي كريمة فوزي بك وخطيبة عبد الله الفياض ، ثم عثمان ورجب وهما سائقان .

وأجري باكثير أحداث تلك المسرحية في القدس الشريف بفلسطين ، وكان زمان أحداثها ما بين سنة ١٩٣٥م حتى وقت كتابة المسرحية سنة ١٩٤٥ م .

استهل باكثير مسرحيته " شيلوك الجديد " بالآية القرآنية الكريمة " (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) (المائدة:٨٢) .

ثم أتبعها بمجموعة من الكلمات والعبارات السياسية التي تتعلق بقضية فلسطين لمجموعة من الكتّاب والسياسيين العرب وغيرهم منها علي سبيل المثال عبارة : " إن فلسطين ليست أرضا بلا شعب حتي تصبح وطنا لشعب بلا أرض " للسيدة هدي شعراوي .

وعبارة " إن البلاد العربية المحيطة بفلسطين لا تستطيع أن تطمئن علي استقلالها وحريتها السياسية والاقتصادية يوما واحدا إذا ضاعت فلسطين وابتلعتها الصهيونية ،وهذا ما يجب أن يفهمه كل فرد من أبناء هذه الأمة وأولها مصر ، فليس لنا غير الرق الاقتصادي وتتبعه العبودية السياسية إذا قامت الدولة الصهيونية " . وهي لعبارة للأستاذ عبد القادر المازني .

وعلي الجانب الآخر جاء بمقولة لأحد كتّاب اليهود وهو " نورمان بنتويش: لا حاجة لأن تكون فلسطين محدودة بحدودها التاريخية ، ففي إمكان المدينة اليهودية الامتداد علي جميع البلاد التي وعدوا بها في التوراة من البحر الأبيض المتوسط حتي الفرات ومن لبنان حتي نهر مصر . هذه هي البلاد التي أعطيت للشعب المختار " .

والمسرحية الأولي أو المشكلة تتلخص فكرتها العامة حول قيام الصهاينة اليهود بشتي الطرق والوسائل الملتوية وغير المشروعة للاستيلاء علي الأراضي الفلسطينية ونزع ملكيتها من أصحابها الحقيقين من أهل فلسطين وضمها إلي كيانهم ووطنهم المزعوم .

وهذه هي راشيل الفتاة اليهودية اللعوب التي تنصب شراك غرامها الكاذب حول الشاب الفلسطيني الثري المستهتر"عبد الله الفياض" الذي يمتلك حيزًا كبيرا من الأراضي التي ورثها عن أبيه ، للإيقاع به والاستيلاء علي ماله وأرضه ، علي الرغم من قيامه بخطبة إحدى الفتيات المصريات وهي نادية ابنة فوزي بك المصري الوطني ، التي تعرف عليها أثناء إقامته بمصر للدراسة في كلية الحقوق ، لكن عمه كاظم بك الفياض كان وصيا علي أرضه وأمواله ، وكان يقف لابن أخيه بالمرصاد ضد طيشه وسفهه الجامح الذي كاد أن يفقده كل ما كان يملك من أجل إرضاء راشيل . فنجدها تتحالف مع صديقها اليهودي العربي خليل الدواس من أجل إغراء عبد الله الفياض واستنزاف ما يمكن استنزافه من أمواله وممتلكاته ، وكل تلك الحيل والمكائد الصهيونية التي تدبرها راشيل مع

خليل ضد عبد الله الفياض تحت إدارة وتوجيهات زعيمهم "شيلوك " اليهودي المرابي الكبير، وهو رجل الصهاينة في القدس الذي كان يجند أتباعه من الرجال والنساء من أجل إغراء أهل فلسطين والاستيلاء علي أموالهم وأراضيهم. فكان شيلوك يستغل حاجة أهل فلسطين وفقرهم ويقرضهم ما يحتاجونه من مال ، حتي إذا جاء وقت السداد وعجزوا عنه ساومهم علي شراء أراضيهم والتنازل عنها مقابل ما اقترضوا منه من أموال .

وتبدأ أحداث المسرحية في هدوء نسبي حيث تقوم راشيل مع صديقها خليل بزيارة مرتبة لمنزل عبد الفياض بالقدس وتوهمه بحبها وغرامها به ، ولا تتورع عن تمكينه منها والعيش معه في الحرام ، ثم بعد ذلك تطلب الحصول علي المزيد من الهدايا الذهبية من عبدالله الفياض الذي لم يكن يملك ثمنها وقتئذ بسبب وصاية عمه كاظم علي أمواله ، فكان يذهب إلي شيلوك اليهودي ويقترض منه المزيد من المال من أجل إرضاء راشيل ، وكان شيلوك لا يمانع من إقراضه المال مقابل توقيعه له علي ما يفيد ببيع جزء من أرضه في حالة العجز عن السداد ، وظل عبد فياض علي هذا الحال المتردي حتي اقترض مبالغ مالية ضخمة من شيلوك مقابل التوقيع بالتنازل عن أرضه.

ثم تتصاعد الأحداث بعد ذلك عقب علم عمه كاظم بك الفياض بما قام به ابن أخيه عبد الله من استقباله لراشيل في بيته وغرامه بها ، وأجري بينهما حوارًا حادًا وشديدا ، حيث قام عمه كاظم بك ومعه زوجته جليلة هانم بنصح ابن أخيه بالابتعاد عن هؤلاء اليهود وأخذ حذره منهم ، وقاما بتوبيخه ولومه علي تلك التصرفات الطائشة التي من شأنها أن تفقده كل ممتلكاته وأرضه ، وعدم اكتراثه بحيل اليهود وألاعيبهم من أجل الحصول علي أمواله وأرضه ، في حين يمكث أترابه من الشباب الفلسطيني في الجبل هناك بعيدًا عن حياة اللهو والترف التي يعيشها عبد الله الفياض ، يقاومون عصابات اليهود ،ويقاتلونهم من أجل الحفاظ علي بلدهم وأرضهم من السلب والاحتلال .

ويستعين كاظم بك بصديقه ميخائل جاد في إقناع عبد الله الفياض بالابتعاد عن راشيل وشيلوك وتنبيهه بما يدبر له من حيل ومكائد صهيونية للإيقاع به والاستيلاء علي أرضه . لكن عبد الله الفياض يستمر في غيه وضلاله ، ويواصل سمره مع راشيل وتقديم الهدايا الباهظة لها ، والتردد علي شيلوك المرابي للاقتراض منه والتوقيع له علي أرضه .

ثم تتصاعد الأحداث أكثر ويترك عبد الله الفياض منزل عمه من أجل راشيل وشيلوك ، ويذهب للإقامة في أحد الفنادق ليبتعد عن ضغوط عمه عليه ، وتترد عليه راشيل ، ثم تعود إلي شيلوك تخبره بما صنعته مع فريستها عبد الله الفياض ، ويصور باكثير ألاعيب اليهود به في الحوار الذي أجراه باكثير بين شيلوك وراشيل في قوله :[١]

شيلوك لراشيل : متي عهدك بعد الله الفياض ؟ أكنت معه اليوم ؟

راشيل : نعم . شيلوك : أين ؟ راشيل : في الفندق

شيلوك : " يجيل أصابعه في لحيته " هل غرت عليه من احد ؟

راشيل : كلا . ما يحملك علي هذا الظن ؟

شيلوك : حاذري يا ابنتي أن تكوني جادة في هذا الأمر إننا إنما نلعب بهذا الشاب العربي لنقضي وطرنا منه . ومن مصلحتنا أن تتصل به فتيات أخر من أخواتك .

راشيل : صدقني يا عمي شيلوك ما غرت عليه من أحد .

شيلوك : إذا فماذا بك يا عزيزتي راشيل ؟ . راشيل : تتنهد " لا شيء .

(١) شيلوك الجديد . علي أحمد باكثير. الناشر مكتبة مصر دار مصر للطباعة ص . ٤٧ .

شيلوك : " يمسح صلعته بكفه " قولي لي يا راشيل : ألم يقدم لك عبد الله هدية اخري بعد ذلك العقد الماسي الثمين ؟ راشيل : " يبدو علي وجهها الاهتمام " لا . لم يقدم لي شيئا بعده .

شيلوك : ويل هذا الغبي ، أيجد في الدنيا أجمل منك ؟

في هذا النص الحواري يكشف الكاتب عن مدي حجم الحيل والمكائد التي يدبرها اليهود لعبد الله الفياض من أجل سلب أمواله والاستيلاء علي أراضيه .

وهم من أجل تحقيق ذلك المأرب الصهيوني اللعين لا يتحرجون أو يتورعون من فعل أي شيء ولو كان علي حساب أعراض فتياتهم ، فراشيل نموذج صهيوني للفتاة اليهودية البغي التي يستخدمها كبار الصهاينة من أجل تحقيق أهدافهم والوصول إلي أغراضهم من أهل فلسطين .

ويصور باكثير هذا التدني الأخلاقي عند اليهود في الحوار الذي أجراه بين شيلوك وراشيل عقب علمه بحملها منه سفاحًا [١]

شيلوك : هل ثم من شيء تكتمينه عني ؟ راشيل : " تشير برأسها نعم " .

شيلوك : ما هو يا راشيل ؟ أخبري عمك شيلوك . إنه بمنزلة أبيك .

راشيل : أشعر بأعراض .....

شيلوك : ها . فهمت . وهوني عليك يا بنيتي فهو أمر بسيط ، لا يستدعي كل هذه الدموع .لكن لماذا لا تتخذي الاحتياطات اللازمة يا راشيل ؟

راشيل : اتخذتها يا عمي ولكن .....

شيلوك : نفذ السهم هه ؟ أخشي أن يكون هذا العربي أعجبك يا راشيل . لا تنسي يا ابنتي وأنت تحنين إليه أنه عدوك .

---

(١) (شيلوك الجديد . ص ٥٠ .

وهكذا تمضي المسرحية في مشاهدها وفصولها تكشف عن مدي انحطاط اليهود وخستهم وانزلاقهم في مستنقع الرجس والفواحش من أجل تحقيق أحلامهم وتنفيذ مخططاتهم الصهيونية .

وتتصاعد حدة الحوار بين عبد الله الفياض وعمه كاظم بك وصديقه ميخائيل جاد ، فيتهم عبد الله عمه بالاستيلاء علي أمواله وحرمانه من التصرف فيها ، ويرد عليه عمه بأنه لا يزال مراهقًا ولا يحسن التصرف والحفاظ علي أمواله ، ويضع نفسه تحت رحمة وسيطرة اليهود الذين يكيدون له ويحتالون عليه. حتي يهم عبد الله بترك منزل عمه والذهاب للإقامة في أحد فنادق المدينة .

وفي الفصل الثاني من المسرحية يعرض باكثير مشهدًا لشيلوك اليهودي المرابي وهو يمارس سياسة الخداع والتحايل ضد أهل فلسطين في مكتبه بالقدس، ويبرع باكثير في وصف شيلوك ووصف مكتبه ومحتوياته وذلك في قوله : في مكتب شيلوك الرئيس بالقدس حجرة واسعة في الدور الأرضي مفروشة بالسجاد وتزين جدرانها زيتية لهيكل سليمان في الوسط ، وتحفها صور أخري لوايزمن وجابوتنسكي وغيرهما من زعماء الصهيونية . وللحجرة بابان أحدهما يؤدي إلي الخارج ويقع في الطرف الشمالي الشرقي والآخر يؤدي إلي حجرة اخري ويقع علي يمين المسرح . وعلي يسار المسرح يقع المكتب وإلي جانبه دولابان كبيران ولكنهما غير بارزين كأنهما داخلان في الجدار وقد صفت عن يمين المكتب وشماله وأمامه بضعة كراسي .

ويظهر شيلوك وهو جالس علي مكتبه ، وهو رجل في نحو الستين من عمره قامته قصيرة كبير الرأس قد أكل الصلع وسطه من مقدمه إلي مؤخره فتركه أملسا لامعًا ، وأبقي قرعتين من الشعر الأبيض علي جانبيه . وله عينان كبيرتان يسطع منهما بريق عجيب كبريق عيني البومة يظلهما حاجبان كثيفان قد تهدلا قليلا وفوقهما جبهة ضيقة كلها تجاعيد . وقد غارت وجنتاه فنتأ عنهما أنف دقيق الأرنبة منبعج المنخرين وهو دقيق الفم رقيق الشفتين ، لا ينفك عن تحريك شدقيه

في حركة دائرية كأنه يمضغ شيئا . وله لحية بيضاء كثيفة الشعر مقصوصة الجوانب بحيث يبدو أسفل وجهه في شكل نصف دائرة .

ويصور باكثير مشهدًا داخل هذا المكتب بين شيلوك وإبراهام وهو رجل يهودي فلسطيني لكنه غير متطرف كشيلوك وأعوانه ، ويبدو الحوار حادا بين الطرفين فإبراهام يتهم شيلوك بالاحتيال والنصب علي أهل فلسطين، ومحاولة السطو علي أراضيهم وبيوتهم ، وشيلوك يرد عليه بأن ذلك في مصلحة الأمة اليهودية ، وهو مصطلح يرفضه إبراهام تماما ، ويحاول جاهدًا أن يفند أباطيل شيلوك وأكاذيبه ، وأن فلسطين أرض عربية ، لكن شيلوك يتهمه بأنه عدو للصهيونية ، ثم يمكر به أمام رجال الشرطة ويدبر له مكيدة الاعتداء عليه في مكتبه ومحاولة قتله ، مما يدفع برجال الشرطة للقبض علي إبراهام واعتقاله .

ولما اشتد الصراع بين الصهاينة وأهل فلسطين ويئس كاظم بك من إصلاح ابن أخيه عبد الله وإثابته لرشده يقرّر الذهاب مع كسّاب مأمور المركز إلي الجبل للانضمام إلي صفوف المجاهدين في المقاومة الفلسطينية المسلحة .

ثم يكتشف عبد الله الفياض أخيرًا حقيقة تلاعب اليهود به ومحاولة سرقة أرضه وماله ، واستغلال شيلوك وراشيل له ، ويستفيق من غيه ويقرر اللحاق بعمه كاظم والانضمام إلي صفوف المجاهدين بالجبل ،لكنه يفاجئ بقدوم أسرة فوزي بك من مصر لزيارتهم بفلسطين ومعهم خطيبته " نادية " التي علمت بتلاعب الصهاينة به وقررت المجيء إليه لزيارته ، ويستقبلهم عبد الله الفياض في منزله قبيل ذهابه للجبل ، ويجري باكثير حوارًا مطولًا في الفصل الثالث بين نادية وعبد الله ما بين عبارات اللوم والتأنيب من نادية لعبد الله ، وعبارات الندم والتوبة من عبد الله لنادية ووالدها ، ثم يودعهم عبد الله مقررًا اللحاق بالمجاهدين بالجبل .

وفي الفصل الرابع والأخير من الجزء الأول من مسرحية شيلوك يجلس شيلوك في مكتبه مع مجموعة من أصدقائه الصهاينة وهم "كوهين ، وجاك ،

وبنيامين وجوزيف " يتشارون في مستقبل الدولة الصهيونية ، ومواجهة التحديات التي تواجهها ، ويسلط باكثير في هذا الفصل الضوء علي موقف شيلوك من إبراهام اليهودي العربي الذي يناصر أهل فلسطين ويقاوم الحركة الصهيونية المتطرفة ، ويصفه شيلوك بأنه أشد خطرا علي اليهود من أهل فلسطين ، ويؤكد شيلوك لمن معه علي ضرورة التوسع في شراء الأراضي من أهل فلسطين أو سلبها منهم بأية صورة وضمها إلي كيانهم ودولتهم المزعومة .

ثم ينتقل باكثير بعد ذلك إلي الجزء الثاني من المسرحية وهو " الحل " وجعله باكثير في أربعة فصول ، وأجري أحداثه داخل محكمة دولية مقرها القدس، وهي محكمة مؤلفة من قضاة سياسيين نزهاء ،اختيروا من مختلف دول العالم للنظر والتشاور في حل قضية فلسطين والحكم فيها ، ومعهم أطراف القضية من أهل فلسطين الذين يمثلهم ميخائل جاد محامي عرب فلسطين ، ومعاونه عبد الله الفياض ، والأستاذ فيصل ممثل جامعة الدول العربية ، وعرابي باشا القانوني المصري العظيم ، وإبراهام ممثل اليهود اللاصهيونيين ، ونادية زوجة عبد الله الفياض مندوبة الجامعة العربية ، ثم علي الجانب الآخر شيلوك ممثل الصهاينة ، ومعاونه كوهين المحامي ، والجنرال سوردر ممثل بريطانيا .

وأجري باكثير وقائع وأحداث تلك المحاكمة الدولية في إطار نظرة مثالية رومانسية مستقبلية للقضية ، لذلك جعل زمانها المستقبل الذي لم يأت بعد ، وكأنه بذلك يضع هذا الحل أمام أبناء الأمة العربية هم الذين يحددوا زمان تلك المحاكمة العادلة التي تنتصر لفلسطين ولقضيتها العادلة .

واستهل باكثير فصول تلك المسرحية بالآية الكريمة :" وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ".(الأعراف ١٦٧)

ويجري باكثير في تلك المسرحية جولة من المحادثات والمرافعات المطولة المحتدمة داخل القاعة بين أعضاء المحكمة وأطراف القضية من العرب والصهاينة ، وتتسم تلك المرافعة بالحدة والصرامة من قبل ممثلي فلسطين والعرب ،في محاولة إثبات أحقيتهم وملكيتهم لأرض فلسطين ، يقابل ذلك سلسلة من المراوغات والأباطيل التي يتذرع بها ممثلو الصهاينة شيلوك ومن معه وهم يحاولون بشتي الطرق والأساليب الملتوية الخبيثة قلب الحقائق، وتحريف النصوص الدينية، لإثبات أحقيتهم ومشروعيتهم بإقامة وطن قومي لهم علي أرض فلسطين .

إلا أنهم إزاء قوة الحق العربي والاستمالة في الدفاع عنه تسقط الدعاوي الصهيونية الكاذبة ، ويجتمع أعضاء المحكمة كافة علي إصدار قرار دولي موحد بعودة وإرجاع أهل فلسطين إلي ديارهم ، واسترداد كافة حقوقهم المادية والمعنوية ، وعدم الموافقة علي إقامة وطن قومي لليهود علي أرض فلسطين ، والقضاء علي الوجود الصهيوني الغاصب علي أرض فلسطين ، وعودة كل جالية يهودية إلي وطنها الأصلي الذي قدمت منه بعد وعد بلفور .

وبعد إصدار هذا القرار العادل تضج المحكمة بصيحات الفرح والسعادة من قبل ممثلي العرب وأهل فلسطين ، يقابل ذلك حسرة وكآبة علي وجوه شيلوك ومن معه ، ويبدع باكثير في تصوير مظاهر تلك الكآبة والحسرة علي وجه شيلوك قائلا : [١]

شيلوك : " ينهض " أيها السادة : لقد صدق القائل : ويل للمغلوب من الغالب ! نحن اليوم مغلوبون فعلينا أن نتحمل كل ما يرمينا به المندوب العربي من كلمات الطعن والإهانة ، لأننا أصبحنا اليوم وليس لنا دولة تحمينا ، بل ليس

(١) شيلوك الجديد ص ٢٤٤ .

لنا وطن نستقر فيه ، فقد رجعنا إلي تشردنا القديم ، فليتحمل الظهر اليهودي كل ما ينهال عليه من سياط العذاب والاضطهاد . لقد شاءت الأقدار الظالمة أن لا يكون لليهود وطن ولا دولة كأنما لا يصلح هذا العالم إلا إذا بقي اليهود قفي التيه ، لا أربعين سنة كما كتبه موسي ولكن إلي الأبد ! فلنصبر علي ظلم الأقدار كما صبرنا علي ظلم الناس ! ثم يجلس في تحسر وندم " .

ثم يأتي مشهد الختام الذي يصور فيه باكثير نهاية شيلوك المخزية بعد أن أقدم علي الانتحار بعد عودته لمنزله بعد تجرع مرارة الحسرة والهزيمة ، وانهيار حلمه الكاذب المزعوم .

ومن خلال هذا الحل المثالي الرومانسي الذي ابتكره باكثير لحل تلك المشكلة والقضية الكبيرة وهي مأساة فلسطين يُبصِّر الكاتبُ العرب والمسلمين بأهمية وضرورة العمل لمساعدة أهل فلسطين ، والسعي الجاد الحثيث لحشد الرأي الدولي العام في المحافل الدولية ،لتبصير العالم بعدالة القضية الفلسطينية ،وبمدي جرم ووحشية العدوان الصهيوني الغاشم علي أهل فلسطين، الذي اعتدي عليهم وجردهم من حقوقهم وأجلاهم عن ديارهم وطنهم .

فمما لا شك فيه أن جهل العرب كان هو العامل الأكبر خطورة الذي أدي إلي تفاقم القضية الفلسطينية علي نحو ما أصبحت عليه الآن ، وإلي مضاعفة الخسائر الناشئة عنها ،وإلي تعقيد القضية نفسها بحيث أصبحت متعددة الأطراف . ومن أهم محاور جهل العرب في هذا الأمر هو عدم إدراك قواعد إدارة الصراع الدولي بحيث غابوا عن كثير من التجمعات واللقاءات الدولية التي كان من الممكن أن يثيروا أمامها قضيتهم " [١].

(١) الفلسطينيون ينتصرون أخيرا د محمد الجوادي الناشر دار جهاد للنشر والتوزيع بالقاهرة طبعة سنة ٢٠٠٣ م ص ٢٢ .

وهكذا تدور مسرحية شيلوك الجديد حول فكرة أن فلسطين العربية لا يمكن أن يقتطع منها وطن قومي لليهود دون أن يسيل الدم من الشرق العربي كله .ذلك مثل رطل اللحم الذي اشترطه شيلوك اليهودي في رواية شكسبير " تاجر البندقية " علي التاجر البندقي أنطونيو لا يمكن أن يقتطعه شيلوك من جسم أنطونيو دون أن يسيل الدم منه فيموت ، فكما استحال تنفيذ هذا الشرط المخالف للقوانين الإنسانية رغم رضي أنطونيو نفسه ، يستحيل كذلك تنفيذ وعد بلفور لا لمخالفته القوانين الإنسانية فحسب فيما يترتب عليه من الحكم بالموت علي شعب بأكمله هو الشعب العربي ، بدلا من شخص واحد في شخص أنطونيو ، لكن لأن الذي أعطي هذا الوعد وهو بلفور لا يمتلك الحق لإعطائه بخلاف أنطونيو الذي كان يملك أن يكتب الصك علي نفسه .

أما موضوع المسرحية فقائم علي استعارة قصة هذه المسرحية التي كتبها شكسبير لمسرحية جديدة تعالج قضية فلسطين ، معتمدة علي وجوه التشابه بين القضيتين في الصورة الإجمالية وفي كثير من التفصيلات حتي تنتهي ببطلان دعوي الصهيونيين كما بطلت دعوي ذلك اليهودي الجشع شيلوك وبتجريمهم كما جرم شيلوك .

وهكذا نستطيع أن نؤكد أن باكثير قد أبرز عددا من الموضوعات والقضايا البالغة في هذه المسرحية نذكر منها ما يلي :

- استخدام عامل الجنس من قبل اليهود لاستنزاف ثروات وممتلكات العرب ، وقد تمّ لهم ذلك من خلال السيطرة علي أموال خليل الدواس وعبد الله الفياض والإيقاع بهم في شرك اليهوديات .
- التأكيد علي أن أصابع اليهود تلعب في كل شأن من شئون فلسطين حتي في القضاء من أجل التحايل علي أهل فلسطين والاستحواذ علي أراضيهم وممتلكاتهم .

- تسلط الموظفين اليهود علي العرب وغطرستهم تجاههم ، وكأن البلاد بلادهم ، والعرب غرباء عليها ، وهذا ما حدث من شيلوك ووكلائه المرابين لإقراض الفلاحين بالربا الفاحش حتي تسقط أراضيهم في أيدي اليهود .
- فرض اللغة العبرية لغة ثالثة في البلاد إلي جانب اللغتين العربية والإنجليزية .
- عدوان العصابات الصهيونية علي أبراهام وهو يهودي شرقي ورمز لكل من يخالف اليهودية لأنه يقف ضد العصابات الصهيونية التي زعمت أن اليهود أمة ، وهي خرافة لا يعترف بها ، ويوقن بأن اليهودية دين لا دولة .
- تحبيذ الخمور للعرب خاصة للمترفين منهم .
- سعي اليهود الدؤوب والمنظم لإبادة العرب وتهجيرهم من أرض فلسطين .
- ضرورة وأهمية إعادة هيكلة البيت العربي الكبير ، وتقوية صفه ، وتفعيل دوره الخارجي في المحافل الدولية ضد المخططات الصهيونية لابتلاع أرض فلسطين وما حولها .

المسرحية الثانية :

شعب الله المختار ١٩٥٦ م

تأتي المسرحية الثانية " شعب الله المختار " التي كتبها علي أحمد باكثير ، والتي عالج من خلالها القضية الفلسطينية معالجة فنية ، وسلّط الضوء فيها علي المجتمع الصهيوني المنحرف ، ومدي ما كان يتفشى فيه من أوبئة وأمراض اجتماعية وأخلاقية ودينية لم تعهد عن غيرهم علي وجه الأرض

والمسرحية في إطارها ومضمونها العام هي ملهاة في أربعة فصول ، وهي مسرحية خفيفة الظل ، متنوعة المشاهد والمناظر ، اختار لها باكثير هذا المسمى المزعوم عندهم في مفارقة فنية ساخرة واضحة ، فهم كما يدعون ويزعمون بأنهم شعب الله المختار ، وأن من سواهم من البشر هم في مرتبة متأخرة عنهم ، ولكن المسرحية تكشف خلاف ذلك وتؤكد أنهم بخلاء ، شهوانيون ، طماعون ، مخادعون ، منحرفون ، يتظاهرون بسمو الأخلاق ، والأخلاق والخلائق منهم براء .

والمسرحية في محتواها العام تدور أحداثها داخل أحد الفنادق في تل أبيب المملوك لرجل يهودي عربي يدعي حاتم، وتعاونه فيه زوجته سارة ، ولهما ابنة تدعي " راشيل" وهي فتاة يهودية متحررة تتقلب بين أحضان الرجال والشباب بغية الحصول علي المال منهم، وأشخاص المسرحية الأصليين إضافة إلي حاتم وسارة وراشيل ، أربعة رجال من أثرياء اليهود الغربيين وهم : كوهين ، وكوهنيوف ، وكوهان ، وكوهينسون ، وقد وفد الأربعة إلي فلسطين من أمريكا وأوربا عقب وعد بلفور الظالم القاضي بإقامة وطن قومي لليهود بفلسطين ، وتبرعوا بأموال طائلة وأنفقوا معظم ثرواتهم التي جمعوها من الربا لصالح إقامة كيانهم الصهيوني في فلسطين ، الأمر الذي جعلهم أعضاء بالكنيست الإسرائيلي ، وفضلوا الإقامة في هذا الفندق بوسط تل أبيب ، وهم يجتمعون فيه بصفة دائمة يتبادلون الحوارات

والمناقشات فيما بينهم حول تحقيق حلمهم بالوطن الصهيوني بفلسطين ، ولو أدي ذلك إلي نزوح وتهجير أهل فلسطين خارج ديارهم .

واستدعي باكثير في هذه المسرحية تلك الشخصيات اليهودية المتنوعة الأجناس والأوطان الذين جاءوا إلي فلسطين مخدوعين بالدعاوي الصهيونية لهم، يعيشون حالة من الخواء الروحاني والانحلال الأخلاقي البغيض ، مميزين ومفرقين بين اليهودي الشرقي والأوربي إلي حد تجريد انتماء الشرقيين من كونهم من شعب الله المختار .

ويرصد باكثير في تلك المسرحية ويكشف عن مدي ما كان فيه المجتمع الصهيوني من إغراق في الانحراف، والتحلل الأخلاقي المقيت ، وذلك من خلال ما كان يقوم به حاتم وسارة من استخدام ابنتهما " راشيل " كوسيلة رخيصة لجمع المال من هؤلاء الكواهين نزلاء الفندق، وذلك من خلال تنقلها بين غرف هؤلاء الرجال ليلا ، والمبيت عندهم حتي الصباح ، علي الرغم من خطبتها لأحد الشباب اليهود .

ويصور باكثير في هذه المسرحية تلك المفارقة الأخلاقية العجيبة في حياة هؤلاء الصهاينة الذين يتظاهرون بالأخلاق وهم أبعد الناس عنها ، وذلك في الحوار الذي أجراه بين أمبرتو أحد نزلاء الفندق وبين كوهان وذلك في الحوار التالي : [١]

أمبرتو : (مترددا) صباح الخير يا سيدي . كوهان : صباح الخير يا سنيور . تفضل .

أمبرتو " يجلس إلي جانب) شكرا . هل لك يا سيدي أن تخبرني عن هذه العادة الغريبة عندكم ؟

(١) مسرحية شعب الله المختار لعلي أحمد باكثير. طبعة دار مصر للطباعة ص ٤٦ .

كوهان : أي عادة يا سيدي ؟ أمبرتو : لقد طفنا أنا وزوجتي يوم أمس بجميع فنادق المدينة فلم نجد فندقا واحدا يرضي أن يعطينا حجرة بسريرين أو سرير مزدوج .

كوهان : هذا ممنوع هنا في تل أبيب .

أمبرتو : لكنها زوجتي ! كوهان : ولو . للرجال جناح وللنساء جناح .

أمبرتو : هذا أمر لا نظير له في أي بلد آخر فما السر في ذلك ؟

كوهان: السر واضح يا سنيور. رعاية للأخلاق ومحافظة علي الشرف !

أمبرتو : (يبتسم ابتسامة عريضة) صحيح !

كوهان : ما خطبك يا سنيور ؟

أمبرتو : (يتنفس الصعداء في رضي وانبساط) هاء !

كوهان : ماذا بك ؟ أمبرتو : هكذا قيل لي بالأمس لكنني اكتشفت سرا جديدا البارحة .

كوهان : ماذا تعني ؟ أمبرتو : (يخفض صوته) لما آويت إلي فراشي البارحة وأطفأت المصباح .....

كوهان : ماذا حدث ؟ ! أمبرتو : جاءتني فتاة جميلة فباتت عندي .

كوهان : (مستعظما) باتت عندك ؟

أمبرتو : طوال الليل . كوهان : مستحيل . أمبرتو : أحلف لك .....

كوهان : كلا لا تحلف ... لعلها كانت رؤية في المنام .

أمبرتو : أي رؤيا ؟ كنت صاحيا بعد وفي تمام اليقظ .

كوهان : إذن فلعلها كانت شبحا من الأشباح .

أمبرتو : دعني أخبرك إذن أنها ابنة صاحب الفندق واسمها راشيل .

كوهان : اكتم هذا السر هذه مخطوبة . أمبرتو : مخطوبة !

كوهان : نعم مخطوبة . ومن حسن حظك أن خطيبها الآن غائب في مصر . أمبرتو : بديع .

كوهان : صه .. هذه هي راشيل قد أقبلت . (تدخل راشيل وينهض أمبرتو ويأخذ بيدها ويجلسها بجانبه) .

راشيل : ربما ترانا زوجتك . أمبرتو : لا تخافي .. إنها لن تعرف ما بيننا .حق ما أجملك !

راشيل : أجمل من السنيورة ؟ أمبرتو : أجمل وامتع .

فيكشف باكثير في هذا المشهد ما كان عليه اليهود من فجور وتحلل في حين انهم يتظاهرون بالأخلاق وينادون بها، والأخلاق منهم براء .

ويسلط باكثير الضوء كذلك علي مدي ما كان يتمتع به الكواهين الأربعة من خبث ومكر وفساد، لجمع أموالهم وثرواتهم الطائلة التي قدموا بها إلي فلطسين .

ويجري باكثير حوارًا بين حاتم صاحب الفندق وكوهان أحد النزلاء يكشف فيه عن تبجح الصهاينة وتجرؤهم وعدم اكتراثهم أو قلقهم من نتائج اللقاءات والمؤتمرات التي يعقدها القادة العرب من أجل قضية فلسطين وذلك في الحوار التالي :[١]

كوهان : أنسيت يا حاتم وعد بلفور ؟

حاتم : (في شيء من السخرية) صحيح . قامت علي أساسه دولة .

كوهان ك دولة فقط ؟ إمبراطورية من الفرات إلي النيل .

حاتم : وهذا المؤتمر الذي يعقد الآن في باندونج ؟

كوهان : دعك منه . سينفض علي فاشوش .

حاتم : ههه ... ربنا لا يخيب أملك .

(١) مسرحية شعب الله المختار ص ٥٣ .

وهكذا تمضي مسرحية " شعب الله المختار " ما بين تصوير لمادية اليهود المفرطة ، وعدم اكتراثهم بمصادر جمع المال أهي من حلال أم من حرام ، وما بين تصوير لانحدارهم وانزلاقهم في مستنقع الفواحش والموبقات ، وتصوير لمدي جشعهم وطمعهم المقيت ، وبخلهم الشديد .

وعلي شاكلة مسرحية شيلوك الجديد السابقة التي بناها باكثير علي عقدة وحل ، جعل لمسرحية شعب الله المختار كذلك في نهايتها حلا لعقدة ومشكلة وجود هؤلاء الكواهين الأربعة في هذا الفندق واختلاقهم الكثير من المشكلات والآلام فيه لغيرهم ، وصوّر باكثير الحل لتلك العقدة بتخيله قيام ثورة عارمة في إسرائيل قام الشعب اليهودي علي إثرها بقلب موازين الحكم في إسرائيل ، وإسناد الأمر إلي حكومة أخري تولي رئاستها اليهود العرب ، وعلي إثر تلك الثورة تم إصدار قرار من هيئة الأمم المتحدة بالإجماع بعودة وبرجوع كل المهاجرين اليهود إلي بلادهم الأصيلة ، وكذلك بعودة أهل فلسطين إلي ديارهم وأراضيهم التي كانوا قد هجروا منها قسرًا .

وبالفعل جاءت قوة أمنية إلي بهو الفندق الذي يقيم فيه الكواهين الأربعة وتم إرغامهم علي ترك الفندق والعودة إلي بلادهم . وذلك في حوار طويل أجراه باكثير بين الكواهين الأربعة وهم يتحسرون ويعضون أناملهم من الغيظ علي إرغامهم وإكراههم علي ترك إسرائيل التي دفعوا من أجلها كل ما كانوا يمتلكون من أموال .

ويحرص باكثير في نهاية تلك المسرحية من خلال هذا الحل الخيالي الذي افترضه لعقدة تلك المسرحية أن يؤكد علي سماحة أخلاق العرب ، وكرم أهل فلسطين وحسن معاملتهم ، وتقبلهم لغير المسلمين المقيمين علي أرضهم دون ظلم أو بخس ، علي خلاف ما يفعله الصهاينة الذين لا يراعون في غيرهم إلًا ولا ذمة ، وذلك في الحوار الذي الأخير الذي أجراه باكثير بين سارة وحاتم وراشيل وسيمون خطيب راشيل وهم خائفون علي مستقبلهم في فلسطين حالة

خروج الصهاينة منها ،وبقائهم هم بها تحت حكم العرب والفلسطينيين في حوار :[١]

سارة : الفلسطينيون سينتقمون غدا منا إذا عادوا .

سيمون : كلا يا خالتي سارة . لن يشذ الفلسطينيون عن سياسة إخوانهم العرب ، وسيلقي اليهود هنا مثل المعاملة الكريمة التي يلقونها في سائر الأقطار العربية .

راشيل : صحيح يا أماه – هنا خير لكم من العودة إلي النمسا .

سارة : وأنت تبقين معنا ؟ سيمون : كلا سآخذها معي إلي مصر .

سارة : (في استياء) يحق لك اليوم يا سيمون أن تنتفخ وتتحكم .

راشيل : المسافة قريبة يا أماه بين فلسطين ومصر. سأزورك في كل وقت.

وفي ختام المسرحية يشير باكثير إلي لهجة قومية خفيفة وإلي حد ما اعتزاز بالرئيس جمال عبد الناصر وبكونه قاهر اليهود وذلك في الحوار الذي اختتم به مسرحيته قائلًا :[٢]

سيمون : برافو يا عزرا – برافو يا أبا اليمن .

عزرا : الله ! أنت مصري يا سيمون منا وفينا .

راشيل : وانا كذلك سأصبح مصرية .

عزرا : يا حلاوة ! ورأس الإمام لآخذنكما بالحضن (يهجم عليهما فيحتضنهما بين ذراعيه).

سارة : (تضحك) انظر يا حاتم إلي هذا الحاخام . حاتم : خبيث .

عزرا : ولأبوسنكما أيضا ...

(١) شعب الله المختار ص ١٢١ .

(٢) شعب الله المختار ص ١٣٣

سيمون : لا لا لا ... لا داعي للبوس . عزرا : وحياة الرئيس جمال عبد الناصر (يقبلهما بالقوة) ثم يضحك الجميع . ويسدل الستار .

وهكذا تنتهي مسرحية شعب الله المختار التي اختار لها باكثير هذا المسمى المزعوم عندهم في كتبهم بأنهم شعب الله المختار ، وقد نفي القرآن الكريم عنهم هذا الزعم المكذوب وذلك في قوله تعالي : " وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ "(١).

وجاء هذا المسمى في مفارقة كبيرة لما أكدت عليه المسرحية وصورته من أخلاق اليهود الفاسدة وطباعهم المشينة التي تتعارض مع اختيارهم وتفضيلهم علي غيرهم .

ولعل باكثير قد عمد في تلك المسرحية إلي تشابه أسماء أشخاصها الأربعة الأصليين من اليهود الصهيونيين وهم (كوهين ،وكوهان ،وكوهنيوف ، وكوهينسون) إشارة منه إلي أن هؤلاء الصهاينة دينهم واحد نوأخلاقهم واحدة ، لا فرق بين أحد منهم ، ولا أمل في أحد منهم في خير .

وهكذا تمضي مسرحية شعب الله المختار التي كان موضوعها الرئيس تصوير وفضح مجتمع الصهاينة الذي يعُجّ بالفساد والموبقات ، في حين يتظاهر أهله بالفضيلة والأخلاق .

ودارت فكرتها حول إثبات زيف وبطلان كون اليهود شعب الله المختار كما يزعمون ، وإثبات بطلان أحقيتهم بإقامة وطن لهم غلي أرض فلسطين، وإرغامهم علي العودة لبلادهم وأوطانهم.

(١ . ١٨ الآية المائدة سورة)

وبذلك استطاع باكثير أن يصل إلي تحقيق وتأكيد عدة أهداف مبتغاة من وراء تلك المسرحية منها :

- تسفيه أسطورة وأكذوبة شعب الله المختار ، والتأكيد علي أن دولة إسرائيل تحمل بذور فنائها بداخلها .
- كشف عن مادية اليهود المفرطة ، وبخلهم وبراعتهم في جمع المال من أخس المهن .
- التأكيد علي وجود حالة الاضطراب والقلق التي تسود حياة اليهود في فلسطين ، وتفضيلهم أيام الانتداب البريطاني علي حياتهم في ظل الحكم الصهيوني .
- تفشي فاحشة الجنس في أوساط المجتمع اليهودي من أجل المال وتملك الأراضي العربية .
- إظهار فرحة اليهود بتصدع وانشقاق الدول العربية فيما بينها ،
- عدم إحكام الحصار الاقتصادي الذي ضربه العرب حول الصهاينة في فلسطين .
- اظهار ازدراء اليهود الغربيين لليهود الشرقين وعدم الاعتراف بأنهم من شعب الله المختار .
- الاعتراف بالدعم الاقتصادي الأمريكي لليهود ووقوع أمريكا تحت سيطرة الصهاينة .
- إظهار حسن معاملة المصريين لليهود ، وإظهار خيانة اليهود لهم .

المسرحية الثالثة :

(إله إسرائيل ١٩٥٩م) .

والمسرحية الثالثة لباكثير التي عالج فيها القضية الفلسطينية جاءت بعنوان " إله إسرائيل " ، وهي مسرحية طويلة . تتكون من ثلاث مسرحيات ، أو مسرحية من ثلاثة فصول ، الفصل الأول استقي باكثير أحداثه ووقائعه من أحداث قصة نبي الله " موسي "– عليه السلام مع بني إسرائيل ، والفصل الثاني استقي أحداثه من قصة نبي الله " عيسي – عليه السلام مع بني إسرائيل أيضا ، والفصل الثالث جعله باكثير يدور حول جرائم اليهود في العصر الحديث ، وبذلك استوعب فيها باكثير المشكلة اليهودية منذ أقدم عصورها حتي يوم كتابتها .

واستيقت معظم أحداث وحقائق تلك المسرحية من الكتب المقدسة الثلاثة : " التوراة والإنجيل والقرآن " ومن التلمود ومن كتب أخري كثيرة كتبها اليهود أو كتبت عنهم في مختلف العصور ، وأشار باكثير إلي أن فكرة هذه المسرحية ظلت مختمرة في ذهنه طيلة خمسة عشر عاما إلي أن أنجزت . وراعي باكثير مقام الأنبياء وقداستهم فلم يشخصهم في مسرحيته ، واكتفي بإيحاء صوت لهم من خلف الستار .

ولعل باكثير قد استنبط هذا العنوان لمسرحيته من قول الله تعالي :[١]

" وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ " .

فبنو إسرائيل قوم ماديون ،لا يؤمنون ولا يدينون إلا بما يشاهدونه بأعينهم ويلمسونه بأيديهم . واستفتح باكثير مسرحيته بالآية الكريمة : " وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ

(١) سورة الأعراف الآية ١٣٨ .

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " (١).

(الفصل الأول)

تأتي المسرحية الأولي أو الفصل الأول الخاص بوقائع نبي الله موسي عليه السلام مع بني إسرائيل علي غرار ما ذُكر في القرآن الكريم في قصة موسي مع قومه التي وردت في سور متعددة من سور القرآن الكريم ، وفي كل سورة مشهد وحدث يختلف عن السورة الأخرى ، حتي اكتملت قصة موسي مع بني إسرائيل وافية وشاملة .

وموضوع هذه المسرحية الذي يظهر لنا أن إله بني إسرائيل الذي دارت حوله المسرحية وتسمت به هو إبليس اللعين الذي كان يظهر لهم في صورة المال والذهب ، وأنهم فتنوا بهذا الأمر حتي أنساهم دين الله ورسالة نبيهم موسي عليه السلام إليهم .

وتتلخص أحداث تلك المسرحية في إظهار فتنة بني إسرائيل زمن موسي – عليه السلام – وتمردهم عن منهج الله تعالي، ومخالفتهم لأوامر نبيهم موسي الكليم – عليه السلام – بعد أن خرج بهم من مصر بعد هلاك فرعون وقومه ، وقد سرقوا الذهب والحلي من أهل مصر ، وعاتبهم موسي علي هذا الفعل المشين ، وأمر أخاه هارون بجمع هذا الذهب والحلي المسروق وإعادته إلي أصحابه بمصر . ويصور باكثير ذلك في حوار :(٢)

موسي : أني لكم هذا الذهب ؟ عزرا : لعلهم استحلوا ذلك من أموال الوثنيين .

(١) سورة المائدة الآية ١٦٤ .

(٢) إله إسرائيل ص ٢٣ .

أصوات : أجل . من أموال الوثنيين . موسي : (غاضبا) يا غلاظ الرقاب أفيسرق الموحدون؟

عزرا : ليس علينا في أموال الوثنيين سبيل . موسي : اخسأ . من قال لكم ذلك ؟

عزرا تناقلنا ذلك عن آبائنا . موسي : قبح الله آباءكم الذين بدلوا ملة أبينا إبراهيم وأطاعوا الشيطان الرجيم . ورب العزة لأعاقبنكم شر عقاب يا غلاظ الرقاب .

ففي المشهد الأول يصور باكثير لقاءً يجمع بين إبليس – لعنه الله– مع مجموعة من شيوخ ورهبان معابد بني إسرائيل في مصر ومحاولة إبليس إغرائهم وإضلالهم وتمردهم علي نبيهم موسي – عليه السلام– بل ومحاولة قتله إن تمكنوا من ذلك حتي تكون لهم الغلبة والقوة علي أهل مصر . وفي المشهد الثاني يجري باكثير حوارًا مطولًا بين موسي عليه السلام وبني إسرائيل ، دعاهم فيه إلي التوحيد وعبادة الله ، ومخالفة أمر الشيطان وعدم الاستجابة له ، غير أن بني إسرائيل يماطلون في الإجابة لنبي الله موسي ، ويجادلونه في كل شيء ، ويكشف في هذا المشهد عن توافق دعوة موسي عليه السلام مع دعوة نبي الله إبراهيم – عليه السلام– ، وتفنيد مزاعم اليهود وأكاذيبهم في موسي عليه السلام .

وفي المشهد الثالث يعود إبليس ليظهر أمام شيوخ اليهود في المعبد ويأمرهم بعصيان موسي ، وأن يصنعوا من الذهب معهم عجلا له حركة وخوار كي يعبدوه .

ثم يأتي المشهد الرابع والأخير يكشف فيه باكثير عن كفر بني إسرائيل بموسي وربه ، وعبادتهم للعجل من دون الله حال غياب موسي عنهم أثناء لقائه بربه ، وعتاب موسي لأخيه هارون علي ذلك الأمر ، ثم عفوه عنه عقب علمه بطغيان بني إسرائيل وعصيانهم لأمر هارون .

ثم يدعو موسي بني إسرائيل أن يقاتلوا رجال كنعان ، ويأمرهم بألا يقتلوا الشيوخ والنساء والأطفال ، فيفعلون عكس ما أمرهم موسي ، فيدعو ربه أن يصبّ عليهم لعنته ، فهم شعب إبليس ، وليسوا بشعب الله كما يدعون ، ثم يدعوا ربه أن يقبضه إليه .

ويحتدم النقاش والحوار داخل المسرحية بين موسي وأخيه هارون إزاء عبادتهم العجل من دون الله مدة غيابه عنهم ، ثم يهدأ الحوار بين موسي وهارون عقب علمه بعذر هارون أمام بغيهم .[١]

موسي : أين هارون ؟ هارون : لبيك يا كليم الله . هات هذه الالواح احملها عنك .

موسي : (في غضب) ما أنت والألواح ؟ دعها معي .

هارون : (في رقة) أردت أن أحمل عنك العبء .

موسي : ويلك. عجزت عن حمل وصية واحدة أفتحمل وصايا الله العشر؟

هارون : معذرة يا موسي . موسي : خبرني أين كنت ؟ هارون : كنت هنا يا موسي .

موسي : كنت هنا وتركتهم يعبدون هذا الصنم من دون الله ؟ ويل لك لأخذن بلحيتك هذه الكثة .

هارون : مهلا يا أخي . موسي : ما أنا بأخيك .

ففي هذا الحوار يحتدم النقاش بين موسي وأخيه هارون حول افتتان بني إسرائيل وعبادتهم للعجل من دون الله ، وما أن هدأ موسي وتبين له صدق أخيه له ، وغلبة بني إسرائيل وتمردهم علي هارون صفح عنه موسي واستكمل معه رحلة الدعوة والتبليغ عن الله .

(١) إله إسرائيل ص ٣٦ .

ثم ينتقل هارون لجوار به تاركًا موسي – عليه السلام– وحيدًا في جهاده المرير مع بني إسرائيل ودعوته الشاقة لهم ، غير أنهم لا يتورعون عن مخالفته، وإعلان عصيانهم وكفرهم به .

ومن المشاهد التي صورها باكثير للتعبير عن مادية اليهود المفرطة واتباعهم أمر إبليس ذلك الحوار الذي أجراه بين إبليس وبعض شيوخ بني إسرائيل: (١)

إبليس : حسبهم أن يروني في الذهب .

الشيوخ : (في اهتمام بالغ) الذهب ؟

إبليس : نعم ، بلغوهم أني قد جعلت من نعمتي عليهم أن أتجسد لهم في هذا المعدن النفيس ، فليحرصوا علي جمعه لتكون لهم القوة والسلطان .

أحد الشيوخ : أما هذا فسيؤمنون به ويفرحون . الآخرون : لكن أني لهم بالذهب ؟ لقد انتزعه فرعون من أيديهم . أحد الشيوخ : وموسي كان السبب .

الآخرون : أجل موسي كان السبب . إبليس : وأنتم له طائعون ولأمره سامعون .

الشيوخ : ماذا في وسعنا أن نفعل يا مولانا ؟

إبليس : حذروا قومكم منه . خذلوهم عنه حتي يتركوه .

الشيوخ : سيبطشون بنا إن فعلنا ولن يتركوه . إبليس (في حقد) فاقتلوه !

وفي ذلك إشارة إلي أن اليهود في كل زمان ومكان لا يرضخون ولا ينزجرون إلا بصوت الشدة والقوة ، ولا يعبئون في سبيل تحقيق أحلامهم إلي تحكيم عقل أو حكمة أو ضمير .

(١) مسرحية إله إسرائيل . علي أحمد باكثير مطبعة دار مصر للطباعة . ص ١٥

وبرع باكثير في تصوير طباع بني إسرائيل المتمردة علي أنبيائهم ، وغلظة قلوبهم التي استوجبت ان يكون كليم الله موسي – عليه السلام – شديدا وغليظا عليهم مثلهم ، وإلا لما استجابوا له وآمنوا به ، وهذا ما جعل موسي عليه السلام – يكثر دائما في المسرحية من ندائهم بقوله : " يا غلاظ القلوب ... ويا أيها الكفرة الفجرة !

ويكشف باكثير عن سبب قوة موسي وغلظته في معاملة بني إسرائيل ، وذلك في الحوار الذي أجراه بين موسي وابن أخيه هارون : [١]

موسي : رحم الله أباك هارون .. ما أشبهك به في حلمه وطول أناته .

ابن هارون : سمعت يا عمي أنه لذلك أحبه بنو إسرائيل .

موسي : اجل .. أحبوه ولم يحبونني !

ابن هارون : بلي يا عم إنهم ليحبونك أيضا وإن كانوا يحبون أبي أكثر ..

موسي : كلا لا يحبونني البتة . وإنما يهابونني ويخشون وجهي .

ابن هارون : سمعتهم يقولون لإنك لو لنت لهم قليلا لأحبوك .

موسي : هيهات .. إن بني إسرائيل غلف القلوب ، غلاظ الرقاب .. فلو أني لنت لهم لين أبيك لاستضعفوني كما استضعفوه . ولربما ظلوا يعبدون العجل إلي اليوم فكانوا أمة كسائر هذه الأمم التي تعبد الأوثان من دون الله !

ويصل الكاتب في مسرحيته إلي ذروة الاحتدام والصراع في المسرحية بين موسي – عليه السلام– وإبليس لعنه الله في حوار شديد اللهجة يوبخ فيه موسى عدوه اللعين الذي تجرأ عليه وجرأ بني إسرائيل معه علي نبيهم ، وأغراهم بالمال والذهب ، وأعمي بصيرتهم :[٢]

(١) إله إسرائيل ص ٤٧ .

(٢) إله إسرائيل ص ٤٣ .

موسي : الحمد لله رب العالمين .

إبليس : أحري بك أن تحمد إله إسرائيل . موسي : ويلك إله إسرائيل هو رب العالمين .

إبليس : كلا يا ابن عمران ما بلغ بي الغرور وأن أزعم أني إله العالمين ، وإنما أنا إله إسرائيل .

موسي : كذبت يا لعين وخسئت .

إبليس : عما قليل يأتيك النبأ العظيم . موسي ك حاشا لله ان يفعلوا ذلك .

إبليس : بل حاشا لي أن أدع هؤلاء الكنعانيين يستأصلون شعبي المختار.

موسي : شعبك المختار !! إبليس : نعم شعبي . ولأتخذن بني إسرائيل أبنائي ورسلي في العالم ، وقد بلغت اليوم بعض ما أريد . موسي : كذبت . لن يكونوا رسلك وأعوانك بعد ان حملوا الوصايا العشر .

وهكذا تمضي المسرحية في صراع شديد بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، إلي أن يرجع موسي إلي قومه فيجدهم قد كفروا بالله ونسوا وصاياه إليهم ، فيتبرأ موسي من قومه الغلاظ ومن كفرهم به واتباعهم إلاههم الكاذب وشيطانهم اللعين الرجيم .

(الفصل الثاني)

ثم بعد ذلك يأتي الفصل الثاني أو الجزء الثاني من المسرحية وهو خاص بالأحداث التي وقعت في عهد نبي الله عيسي – عليه السلام – مع بني إسرائيل، وكذلك يحي – عليه السلام – وقد صوّر باكثير في هذا الجزء من المسرحية الوقائع والحوادث التي جرت بين عيسي عليه السلام وبني إسرائيل منذ أن بشّر نبي الله " يحي " – عليه السلام– بني إسرائيل بعيسي عليه السلام وسط مقاومة وإغراء إبليس وأعوانه لهذا الأمر ، وحثهم علي قتله والخلاص منه متي ظهر لهم . وتدور أحداث هذا الفصل حول بعثة عيسي عليه السلام وولادته دون أب ، وتعرضهم لوالدته السيدة مريم – عليها السلام – واتهامها زورًا وبهتانًا ، وعنادهم

وتمردهم علي عيسي – عليه السلام– ومحاولتهم قتله لولا أن أنجاه الله منهم ومن مكرهم ، وألقي بشبهه علي أحدهم وهو " يهوذا " الخائن اليهودي الذي أرشد اليهود علي عيسي –عليه السلام– فقتلوه وصلبوه ظنًا انه عيسي بن مريم . وذلك كما حكي القرآن الكريم البينات .

ففي المنظر الأول نري نبي الله يحي –عليه السلام– يدعو بني إسرائيل ليطهرهم ، ومريم المجدلية تتعقبه وهي هائمة به ، فيزجرها ، ولكن إبليس يوسوس لها أن تتبعه وتحاول إغوائه .

ثم المنظر الثاني وفيه يقتل يحي عليه السلام م وتحمل سالومي رأسه في طبق ، ثم يظهر عيسي عليه السلام ويدور حوار بينه وبين إبليس الذي يتوعده لقومه بني إسرائيل حتي يقذفوا أمه العذراء البتول ويرمونها بالفاحشة زورا وبهتانا.

ثم المنظر الأخير في مقر الحاكم الروماني ، حيث يقبض علي يهوذا الإسخريوطي الذي ألقي الله عليه شبح المسيح عليه السلام فظنوا أنه هو فقتلوه ، فيحاكم ويصلب ، فيما هو يستغيث ويستصرخ دون أن يلتفت إليه أحد .

ويحشد باكثير في هذا الفصل العديد من مشاهد الصراع بين عيسي وبني إسرائيل ، وبينه وبين إبليس ، وما بين مشاهد شبه هزلية بين يهوذا خائن عيسي وجلاديوس قائد قيصر الموكل بحراسته في القفص قبل قتله وصلبه ، ثم يسدل ستار الختام بصوت عيسي – عليه السلام – وهو في السماء يتوعد إبليس بالعودة إليه وبالنزول إلي الأرض مرة أخري ليحق الحق ويبطل الكفر والباطل .

ويكشف باكثير في الفصل شدة تعنت اليهود وصلفهم أمام الحق والنور الذي أرسله الله إليهم لهدايتهم وتبصريهم ، وإصرارهم علي التمادي في الغي والإفساد والإجرام .

(الفصل الثالث)

أما الجزء الثالث والأخير من أجزاء مسرحية " إله إسرائيل " والذي جرت أحداثه في العصر الحديث فقد أسماه باكثير بـ " الحية " وهي رمز للفكرة الشيطانية التي نادي بها إبليس أعوانه في العصر الحديث وحثهم من خلالها علي أهمية وحتمية إقامة وطن قومي صهيوني في فلسطين ، مهما كلفهم ذلك الأمر من تضحيات جسام ، يفد إليه اليهود من شتي بقاع الأرض لتكون لهم أرضا لميعادهم المزعوم .

وفي هذا الفصل تترد أسماء " قابيل " القاتل الأول ، والعجل الذهبي معبود بني إسرائيل السابق ، وذلك في إشارة إلي دور إبليس ومخططه اللعين لإقامة هذا الكيان الصهيوني الغاصب .

ويعقد باكثير في الفصل مؤتمرًا شيطانيًا خياليًا مقره في مدينة سويسرا الأوربية ، وزمانه في أواخر القرن التاسع عشر ، وهما الزمان والمكان الذي دبرت فيه بريطانيا وقت انتدابها علي فلسطين مخططها المشئوم لإقامة وطن قومي لليهود بفلسطين .

وأعضاء هذا المؤتمر الخيالي هم مجموعة من الشياطين وزعماء اليهود في العالم ، يترأسهم إبليس اللعين ، وهم يتشاورون ويتباحثون فيما بينهم أمر إنشاء وطن قومي لليهود علي أرض فلسطين العربية .

وقد أجري باكثير حوارات هذا الفصل في صورة شبه عبثية أو خيالية ، بين هؤلاء الأعضاء الملاعين الذين رسموا في هذا المؤتمر الشيطاني صورة جديدة لخارطة العالم الحديث تكون دولة بني صهيون –إسرائيل – هي محور وأساس تلك الخريطة الصهيونية الجديدة .

وتنتهي بذلك أحداث تلك المسرحية " إله إسرائيل " التي صنعها باكثير بخياله الواسع وعبقريته الفذة ، من خلال مزج ودمج أحداث الماضي بالحاضر ، واستدعاء أحداث ووقائع التاريخ الديني القديم بأشخاصه ورموزه الدينية المقدسة

وربطه بالواقع العربي المرير الذي ما يزال يئن ويتوجع من آثار هذا السرطان الصهيوني الخبيث الملتف حول جسد الأمة العربية إلي اليوم .

وكذلك الشمول والاستيعاب في تلك المسرحية ، وإدخال عناصر من أبالسة الجن والإنس في أحداثها ، مما أكسبها بعدًا واسعًا وشاملا في تنوع الأحداث والأزمنة والأشخاص والمخلوقات .

وتأتي فكرة وموضوع هذا الفصل الذي تقع أحداثه في العصر الحديث حول بداية الحركة الصهيونية ونشأتها علي أرض فلسطين ، وإظهار ما بين الصهيونية والماسونية وزعيمهم إبليس من علاقات وترابط ، وتقارب وتوحد في الأهداف والغايات الخبيثة .

واستطاع باكثير بعبقريته الفذة وبخياله الخصب الفريد أن يؤلّف ويربط بين فصول تلك المسرحية المتشعبة المتشابكة ، علي الرغم من تباعد أزمانها ، واختلاف أماكنها وأحداثها ، وتغاير أشخاصها . واستطاع كذلك أن يؤصّل لجذور وبدايات النزعة الصهيونية اليهودية المتطرفة ، التي لم تكن وليدة العصر الحديث ، وإنما هي امتداد لسلسلة متأصلة ومتجذرة من التمرد والفساد والكفر اليهودي الذي عاني منه أنبياء الله تعالي ورسله الكرام ، قبل أن يعاني منه العرب والمسلمون .

المسرحية الرابعة : (لباس العفة ١٩٦٣ م)

والمسرحية السياسية الرابعة التي كتبها باكثير وعالج فيها القضية الفلسطينية معالجة أدبية فنية هي مسرحية (لباس العفة) وكتبها باكثير سنة ١٩٦٣ م ، وذلك بعد دعوة الحبيب بورقيبة للصلح مع دولة بني صهيون (إسرائيل) وتخيل باكثير زيارة الرئيس للكيان الصهيوني في شكل كوميدي ساخر ، مما جعل النقاد والمحللين يعتبرون تلك الزيارة نبوءة سياسية لزيارة الرئيس المصري الراحل " محمد أنور السادات " لإسرائيل بعد عشرين عاما .

والحق أنني لم أتوصل بعد طول عناء وبحث عن نسخة ورقية مطبوعة أو الكترونية منشورة لتلك المسرحية (لباس العفة) ولم أتمكن من قراءتها أو الاطلاع عليها حتي أقف علي الإلمام بفصولها ومشاهدها ، الأمر الذي دفعني كرها إلي عدم التعرض لها بالدراسة أو التحليل في هذا العمل حتي أتمكن من الوصول إليها والاطلاع عليها في قابل الأيام إن قدر الله تعالي وأذن بذلك .

المسرحية الخامسة : (التوراة الضائعة ١٩٦٨م)

والمسرحية الرابعة التي كتبها باكثير وعالج فيها القضية الفلسطينية هي مسرحية التوراة الضائعة " ، وهي مسرحية متشابكة شائكة ، جمع فيها باكثير بين مشاهد الواقع والخيال ، وشخصيات الأموات والأحياء ، وحوادث الماضي والحاضر ،ومشاهد الدنيا والآخرة ، وذلك في عمل فني فريد ، ألقي الكاتب من خلاله الضوء علي أحداث تاريخية عميقة ومؤثرة ، ذات مردود كبير علي العالم أجمع . أبرزها قضية احتلال فلسطين ، وقتل وتهجير شعبها ، وجعلها وطنا للصهاينة اليهود ، والربط بين تلك القضية الحديثة وبين قتل الزعيم النازي " هتلر" لليهود وإحراقهم ، وصولًا إلي اكتشاف أمريكا واضطهاد أهلها الأصليين من الزنوج والهنود .

وكان القاسم المشترك بين كل تلك القضايا والمشكلات التي أثارها باكثير في المسرحية هو البحث عن الحق والعدل والمساواة بين كافة البشر ، دون تمييز لفئة علي حساب الآخرين .

والمسرحية ذات شقين : الأول شق خيالي، استوحاه باكثير من وحي خياله التاريخي، واستدعي له شخصيات (القائد العربي صلاح الدين الأيوبي ، والقائد الصليبي ريتشارد قلب الأسد ، والزعيم النازي هتلر ، وهرتزل مؤسس الحركة الصهيونية) . أما الشق الآخر المتعلق بالأحداث الواقعية الحديثة فقد استدعي لها باكثير شخصيات (هاري كوهين وهو مليونير يهودي أمريكي ، وزوجته بربارة ، وابنه جيم ، وابنته راشيل ، وآنا روبرت المربية الزنجية ، وجوزيف موظف يهودي في هيئة تشجيع النسل ، وإيزاك صديق راشيل ، ورهبان الدير الثلاثة .

واستهل باكثير مسرحيته بالجانب الخيالي الذي جمع فيه بين ظلي القائدين: صلاح الدين الأيوبي وريتشارد علي سفح جبل الزيتون فوق القدس ، بعد غياب دام قرونا عديدة بينهما ، إثر معارك وحروب ضارية بين القائدين

الكبيرين من أجل القدس علي أرض فلسطين ، والتي انتهت بانتصار صلاح الدين واسترداد بيت المقدس من أيدي الصليبين ، وإبرام معاهدة صلح بين الطرفين تقضي بجعل بيت المقدس تحت إمارة وحكم العرب والمسلمين ، مع إعطاء المسحيين في أنحاء العالم كافة الحرية والحق في إقامة شعائرهم وطقوسهم الدينية في القدس دون مساس أو اضطهاد لهم . وقد التزم المسلمون والعرب ببنود هذا الاتفاق المبرم بين الجانبين ، وظلت مدينة القدس مفتوحة أبواب مساجدها وكنائسها وأديرتها للمسلمين وللمسيحيين دون أدني أذي أو اضطهاد لأحد ، إلي أن حلّ العصر الحديث وفرضت بريطانيا احتلالها وانتدابها علي فلسطين ، ومن ثم عملت بعد انتهاء انتدابها علي إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ،وذلك في وعد بلفور الظالم ، ومنذ ذلك الوقت حتي الآن تغيرت أحوال مدينة السلام (القدس) إلي ظلام وقهر واستبداد علي أيدي الصهاينة اليهود ، وانتهكت فيها الحرمات ، ومنعت إقامة الشعائر والصلوات ، وتم تشريد وتقتيل أهلها علي أيدي عصابات اليهود الغاصبة المجرمة .

وتبادلا القائدان التحية والسلام بينهما ، مستنكران ومتعجبان ما أحلّ بأرض السلام (القدس الشريف) وفلسطين من قهر واضطهاد وظلام بعد رحيلهما ، ويسأل ريتشارد متعجبًا ما الذي أوصل حال القدس وفلسطين إلي ما هي عليه ؟ ويجيبه صلاح الدين بأن ذلك من فعل وإجرام الصهاينة اليهود الذين صنعتهم بريطانيا وأمريكا، وأتوا بهم في أرض فلسطين بعد التيه والشتات في الأرض ، وتعرضهم للمحرقة النازية علي يد هتلر الألماني المتطرف .

ثم يستمع القائدان إلي أصوات عويل وصراخ شديد، فإذا بهما يبصرا هتلر وهرتزل وهما ملتصقان ببعضهما ويتجرعا صنوف العذاب الشديد في الجحيم جزاء ما قدما .

ثم ينتقل باكثير إلي تصوير أول مشهد واقعي في تلك المسرحية وهو في أحد فنادق تل أبيب وقد نزل به كوهين اليهودي الألماني المتطرف الذي نزح من

أمريكا هو وأسرته إلي فلسطين ليقيم بها ، بعد أن تبرع بمبلغ كبير من ثروته من أجل إقامة الدولة الصهيونية بفلسطين ، وبلغ من تطرفه أنه كان لا يهنأ او يستلذ بطعام إلا وهو يشاهد بمنظاره من غرفة الفندق آلام ومآسي الأسر الفلسطينية النازحة من ديارهم بسبب بطش جنود الصهاينة واضطهادهم لهم ، علي الرغم من رفض ابنه جيم هذا الظلم الصهيوني الواقع علي أهل فلسطين ، وتأبيه النظر مع والده إلي تلك المشاهد اللاإنسانية المؤلمة .

ويصور باكثير هذا التطرف الصهيوني والخروج عن الفطرة الإنسانية السوية في الحوار الذي أجراه بين كوهين ومدير الفندق أثناء مشاهدته للأسر الفلسطينية النازحة في حوار :[١]

المدير : في استطاعتك أن تراهم من هنا إن شئت . كوهين : حقا ؟

المدير : من ذلك الشباك العلوي (يفتح الشباك).

كوهين : (يتطلع من الشباك بالمنظار) شيء جميل . في وسعي إذن أن أتفرج من هنا في كل ساعة . المدير : بغير تعب .

كوهين : (ضاحكا) انظر إلي تلك العجوز . إنها تخوض النهر بثيابها في الماء .

المدير : تستحي أن ترفع ذيل ثوبها عن الماء .

كوهين : أتستطيع أن تراهم بغير منظار ؟ المدير : لا . ولكن هذه عادتهم .

كوهين : وهذا رجل هرم تسقط عمامته في النهر . يحاول أن يلتقطها . ولكن دون جدوي هو الآن واقف بغير عمامة .. يلف شاله حول رأسه .

المدير : بدلا من العمامة الساقطة .

(١) التوراة الضائعة . علي أحمد باكثير . الناشر مكتبة مصر . ص ٢٢ .

كوهين : وتلك أم تحمل طفلها الرضيع . تريد ان تعبر ولكنها تخاف .تلمح الجندي الإسرائيلي بالسنكى وراءها ! تندفع إلي النهر ! تزلق ! يقع الطفل في النهر ! بديع ! لكن هذا شاب ينقذ الطفل من الماء يسلمه إلي أمه وهو يبكي . فرحة ما تمت ! لا بأس غيرها كثير . (يدخل جيم) أنت جئت يا جيم تعال انظر يا بني . جيم : أنظر ماذا ؟

كوهين : تعال متع عينيك . (يعطه المنظار)

جيم : ينظر قليلا ثم يرتد) أي متعة في هذا ؟

كوهين : أكنت في السينما ؟ جيم : نعم . كوهين : أليس هذا أمتع من الأفلام الخيالية ؟

جيم : (يناوله المنظار) استمتع انت بها وحدك فقد دفعت فيها مليون دولار .

وتكشف المسرحية كذلك عن مدي انحراف اليهود الأخلاقي ،ومجاهرتهم بالفواحش والموبقات ، ظهر ذلك جليًا في الحوار الذي أجراه باكثير بين كوهين وابنته راشيل : [١]

راشيل : دعني أقدم إليك صديقي .. إيزاك بنيامين .

كوهين : هل هو الذي رافقك إلي تل أبيب ؟ راشيل : لا يا أبي ذاك صديق آخر . هذا أفضل.

كوهين : اهلا وسهلا . إيزاك : اهلا وسهلا .

(١) التوراة الضائعة . ٤١ .

وشبيه بهذا الفحش يصور باكثير رغبة اليهود وحرصهم علي تكاثرهم وتزايد أعدادهم من خلال عمل وكالة وهيئة لتشجيع النسل الصهيوني بشتي الطرق المشروعة وغير المشروعة .

ثم يعود باكثير إلي الشق الخيالي بالمسرحية في مشهد آخر يجمع فيه بين ظلي صلاح الدين وريتشارد مرة أخري وهما يتبادلان عبارات التوبيخ والتقريع الشديدين لكل من "تشرشل وبلفور " وهما اللذان قد ساعدا وعملا علي صنع هذا الكيان الصهيوني بأرض فلسطين .

ويظهر باكثير في هذا المشهد كذلك هرتزل وهتلر وهما يتلظيا في الجحيم معا ، ويتبادلان عبارات الاشمئزاز والكراهية الشديدة لبعضهما تحت سمع وبصر زبانية الجحيم .

ويعود مرة أخري إلي مشهد واقعي يجمع فيه باكثير بين جيم وجوزيف وهما يتناقشان حول صحة نصوص التوراة الحالية التي يدين بها اليهود علي الرغم من احتوائها علي نصوص لا إنسانية ولا عقلية في تعامل اليهود مع غيرهم من شعوب الأرض ، ما جعل جيم يشكك في تلك التوراة ، وفي صحة نزولها من السماء .وذلك في حوار : [١]

جيم : أريد يا مستر جوزيف أن ألقي عليك بعض الأسئلة .

جوزيف ك هات ما عندك يا مستر جيم .

جيم : هل تعتقد في التلمود أنه كتاب مقدس ؟ جوزيف : نعم . هو شرح للتوراة فهو مقدس مثلها .

جيم: فما تقول في بعض الأوامر والنصائح التي وردت فيه مما ينافي الحق والقانون والأخلاق؟

(١) التوراة الضائعة ص ٧٧ .

جوزيف : ليس في التلمود ما ينافي الحق والأخلاق .

جيم : اعلم يا مستر جوزيف أنني أحفظ التلمود كله عن ظهر قلب .

جوزيف : ليست العبرة بالحفظ ، وغنما بفهمه والعمل بمقتضاه .

جيم : يا مستر جوزيف إنني ما بدأت أشك في قدسيته إلا حين فهمته .

جوزيف : فقد فهمته إذا علي غير وجهه .

جيم : اشرح لي إذن قوله : إن الله لا يغفر ليهودي ذنبا يرد لأمي ماله المفقود .

جوزيف : قال ميمانود : إذا ردّ اليهودي إلي الأمي ماله المفقود فإنه يرتكب إثما كبيرا ، لأنه بعمله هذا يقوي الكفار ويعرب عن حبه للوثنيين ومن أحبهم فقد أبغض الله .

جيم : ألا تري أن هذه النصوص تخالف روح التوراة ؟

جوزيف : أنت مخطئ هذه روح التوراة الحقيقة .

جيم : الآن أشك في هذه التوراة أيضا أن تكون هي توراة موسي .

ويؤكد باكثير بهذا الحوار علي مدي تطرف اليهود الديني وتحريفهم لكلام الله تعالي واستبداله بالأكاذيب والخرافات .

وكشف كذلك عن وجود بعض الشخصيات داخل المجتمع اليهودي ممن يرفضون ويتمردون علي سياسات الصهاينة القائمة علي الظلم والبطش والاستعلاء علي غيرهم بغير حق ، والباحث الموضوعي المحايد في كتابات بعض اليهود وأعمالهم الأدبية يقف علي اتجاه رافض ومتمرد علي تلك السياسات اللاإنسانية واللا أخلاقية ، حيث تعرضت الدولة الإسرائيلية بصورتها الحالية لنقد عنيف في القصص الفائزة بجائزة هاآ رتس ، ويطال هذا النقد مختلف المستويات

المعبرة عن دور الدولة ، وعبرت القصص كذلك عن تلك الروح الاغترابية المتمردة الرافضة أحيانا لفكرة الدولة بشكل صريح " [١].

وتتصاعد الأحداث داخل المسرحية وتنقلب الأمور ، حيث لم يدُم الوفاق والوئام بين كوهين والحكومة الصهيونية بفلسطين ، فسرعان ما دبّ الشقاق والخلاف بينهما بسبب مادية اليهود المفرطة ، ولم تطب الإقامة لأسرة كوهين بفلسطين ، وعمل كوهين علي تسوية أموره المالية للهجرة والعودة لأمريكا مرة أخري ، لكنه فوجئ بتسلط الحكومة الصهيونية عليه ، وتعمدها تجريده من كل أمواله وممتلكاته قبل سفره بحجج واهية مفتعلة.

الأمر الذي انعكس علي نفسية ابنه جيم ودفعه إلي الفرار من البيت وعزّز بنفس كوهين وعائلته الرغبة في الهجرة إلي أمريكا، حتى وإن كلفهم ذلك الأمر ترك أموالهم وممتلكاتهم لليهود كرهًا.

ويأتي باكثير بالمشهد الخيالي الأخير الذي يظهر فيه مرة أخري هتلر وهرتزل وهما يتبادلان أثناء عذابهما عبارات اللوم والتقريع لبعضهما ، وصلاح الدين وريتشارد ينظران إليهما في باستنكار وباشمئزاز . ثم يتبادل القائدان عبارات الوداع والفراق بينهما ، آملان في إمكانية تعاون إسلامي مسيحي حقيقي في المستقبل من أجل استئصال شأفة اليهود بفلسطين ، وإعادة السلام والاستقرار لها مرة أخري . وصوّر باكثير ذلك الحلم في حواره :[٢]

ريتشارد : صلاح الدين إني لم أعد أطيق الاحتمال . هذه القسوة اليهودية علي المسيحيين والمسلمين من العرب تجعلني أكاد أفقد إيماني .

(١) ينظر التمرد علي الصهيونية في الأدب الإسرائيلي المعاصر د محمد عبود طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١٣ م ص ٨٥ .

(٢) التوراة الضائعة ص ١١٠ .

صلاح الدين : كلا يا أخي لا تفقد إيمانك . فقد تحمل السيد المسيح منهم فلعنوا هم علي كل لسان وبقي اسم المسيح عاليا في السماء والأرض .

ريتشارد : آه علي هذا الصلف اليهودي علي هؤلاء العرب الذين قاتلوا في الماضي قتال الأبطال والتزموا قواعد الشرف والشهامة مهما وقع الغدر عليهم من بعض رجالنا الأنذال.

صلاح الدين : لا يحزنك ما تري من صلفهم فتلك شيمة الذليل المهين إذا استطال . وغدا يعودون إلي ذلهم ومسكنتهم قصر الزمن أو طال .

ريتشارد : إني لأحسدك يا صلاح الدين علي صبرك . بل إن صبرك هذا يثير غيظي .

صلاح الدين : لو كنا في قيد الحياة يا قلب الأسد لضممت سيفي إلي سيفك فانقضضنا عليهم من التلال إلي الأغوار ومن الأغوار إلي التلال .

ريتشارد : أجل . ولكننا ميتان !ميتان ميتان !

صلاح الدين : هون عليك فإن الله القوي المتين لقادر ان ينبت من هؤلاء العرب المسحوقين الصابرين المؤمنين من المسيحيين والمسلمين من يغنيهم عن قلب الأسد وصلاح الدين .

ريتشارد : لا يا صلاح الدين لا أستطيع البقاء هنا لأري جناية هذا العالم المسيحي علي الأرض التي باركها المسيح . سأعود إلي قبري وأترك للرب القدير أن يفعل ما يشاء .

صلاح الدين : لقد كنت أود يا أخي أن تبقي هنا معي لتؤنسني .

ريتشارد : لا أستطيع يا أخي لا أستطيع .

صلاح الدين : لا بأس . عد إذن غلي قبرك . ونم ملء عينيك فلسوف تصحو ذات يوم فلا تجد في هذه الأرض المقدسة ظلا لأعداء المسيح ، وتعود أرض السلام إلي أهل السلام .

ثم يصل باكثير إلي قرب نهاية مسرحيته مصعدًا وتيرة الأحداث ومصورًا مشهدا داخل أحد الأديرة المسيحية لجئت إليه بربارة زوجة كوهين ، بعد أن عانت من تطرف كوهين الشديد وتسلطه عليها وعلي دينها المسيحي ، لكنها فوجئت بمجيء زوجها كوهين إليها داخل ذلك الدير ، مبدًا أسفه وندمه علي ما صدر منه تجاه أسرته ، عازما ترك فلسطين والعودة لأمريكا حال رجوع جيم إليه ، الذي يفاجأ به هو الآخر مختبأ داخل ذلك الدير مع مجموعة من الفدائيين العرب الذين يقاومون الحركة الصهيونية ، وقد طلبوا منه أن يعود مع أسرته إلي أمريكا بعد إلحاح عليه من اجل أن يكشف للشعب الأمريكي زيف وكذب الصهاينة وغدرهم الشديد ، وذلك بالنسبة للمقاومة ولأهل فلسطين مكسب ونصر كبير علي الصهاينة وأعوانهم .

ثم يأتي بالمشهد الأخير الذي أعتبره هو الحل لتلك المشكلة والعقدة التي دارت حولها أحداث تلك المسرحية ، وذلك حينما صوّر باكثير موقف جيم الإيجابي تجاه رفضه التام لما في التوراة المحرفة التي بين أيدي اليهود الحاليين من تطرف وأكاذيب ، وإعلانه بأنه قد وصل أخيرًا إلي التوراة الحقيقية الضائعة، والتي كانت قد نزلت علي كليم الله موسي – عليه السلام– ، وهي الموجودة اليوم لدي العرب في وصايا الإنجيل الصحيح ، وتعاليم القرآن الكريم ، تلك الوصايا والآيات التي تتوافق مع روح التوراة الحقيقية قبل تحريفها .

وهذا الختام البارع الذي اختتم به باكثير مسرحيته هو الذي ذكره القرآن الكريم وأكّد عليه في قول الله تعالي :[١] " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) .

(١) سورة المائدة الآية ٨٢ .

وهكذا استطاع باكثير أن يضمن ويرصد في تلك المسرحيات أبعاد القضية الفلسطينية المختلفة من تآمر وتحالف مقيت من الدول الاستعمارية الكبرى، التي مهدت الطريق لإقامة وطن مزعوم لليهود علي أرض فلسطين ، وفتح باب هجرة اليهود إليها من شتي بلاد العالم للاستيطان بها علي حساب أهلها الحقيقيين من أهل فلسطين ، ومن إظهار همجية ووحشية الصهاينة تجاه أهل فلسطين، وعدوانهم الغاشم عليهم ، مدعومين بمساندة الدول الكبرى وحمايتها لهم ، ومن استخدام الصهاينة اليهود كافة الوسائل والسبل اللاأخلاقية واللا إنسانية واللا دينية للاستيلاء علي الأراضي العربية وضمها إليهم بالقوة والباطل .

وكشف باكثير في تلك المسرحيات عما كان عليه اليهود من انحراف وانحلال أخلاقي مقيت ، مثل الخنا والفحش ، والربا ، وغير ذلك من العادات والأخلاق القبيحة التي كانت طبيعية ومعتادة في حياتهم دون إنكار أو رفض .

المبحث الثالث :

تقنيات الفن في التعبير عن القضية الفلسطينية في مسرح باكثير

جمعت مسرحيات علي أحمد باكثير الفلسطينية بين عنصري بناء ومتانة العمل الفني ، وذلك من حيث قوة وعمق الموضوعات والمضامين التي احتوت عليها تلك المسرحيات في معالجتها للقضية المطروحة ، وجماليات وتقنيات البناء الفني التي استخدمها باكثير ووظفها توظيفا فنيا بارعا أثناء كتابته لتلك المسرحيات الفلسطينية .

فكما رأينا في المبحث السابق كيف استطاع باكثير بعبقريته الفذة وخياله الواسع أن يحشد في تلك المسرحيات كمًا هائلا من الموضوعات والأفكار والمضامين التي رتبها في ذهنه ترتيبا منطقيا سليما ، وألف بينها وبين عناصرها وأجزائها المختلفة ، وساقها وعرضها في تسلسل درامي محكم وفريد ، يتسم بالانسيابية والإحكام والتنظيم .

نجد أنه كذلك أجاد وأبدع أيما إبداع وإجادة في توظيف الأدوات والأساليب الفنية التي استعان وتوسل بها في التعبير عن رؤاه ومواقفه الفكرية والسياسية في تلك المسرحيات إزاء قضية فلسطين والتجاوب معها بفكر وخيال الفنان والأديب .

وتعددت تلك الأدوات الجمالية والتقنيات الفنية التي ظهرت في تلك المسرحيات والتي نرصد ونبرز منها يما يلي :

التقنية الأولي : تقنية العتبات :

يقصد بتقنية العتبات هنا المقدمات ،أو ما اصطلح عليه حديثا بالسيميائية وهي علم دراسة العلامات التي تحيط بالنص الأدبي ، من عنوان وغلاف وإهداء ومقدمات وأسماء الشخصيات وما شابه ذلك ، ومحاولة إيجاد علاقات ودلالات

بين تلك العلامات ومحتوي النص الأدبي ، وما يرمي إليه من أهداف وأفكار "[١] .

ويدخل العنوان والمسرحية معا في علاقة تكاملية وترابطية ، حيث إن العنوان يعلن عن شيء وتأتي المسرحية بفصولها ومشاهدها بعد ذلك تفسر وتوضح حقيقة ذلك الشيء ، وعلي هذا الأساس يعتبر العنوان هو العتبة الأولي للنص المسرحي ، والنواة الدلالية الأولي الأصلية التي تتفجر بعد ذلك منها الدلالات الفرعية الأخرى .

ويلاحظ قارئ ومشاهد المسرحية أن العنوان يرتبط بالمتن المسرحي ارتباط السبب بالنتيجة ، وهو يمثل مفتاح النص الأصيل ، والبداية الأولي التي تظهر علي واجهة المسرحية ، والنهاية المتوقعة التي يرمي إلي تحقيقها النص المسرحي بصفة خاصة والأدبي بصفة عامة .

والمتمعن في أسماء وعناوين مسرحيات علي أحمد باكثير الخمس المذكورة سالفا يلحظ العمق البالغ والتركيز الشديدين في تحديد واختيار تلك الأسماء والعناوين ، بداية من مسرحية " شيلوك الجديد " التي تنبأ فيها باكثير مبكرا بقيام دولة إسرائيل ، وذهب إلي أبعد من ذلك حيث رأي أن قيام إسرائيل لن يكون إلا إذا سال الدم العربي في المشرق العربي كله ، وقد كان ، الأمر الذي جعله يديم النظر والفكر في الأعمال الأدبية العالمية الكبرى ويقتبس منها ذلك العنوان وهو " شيلوك الجديد " حيث إن " العنوان في النص الأدبي هو مفتاح النص ، وأولي عتبات فهم النص ، وتبرز أهميته كونه يعمل علي إضاءة النصوص

(١) السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها . سعيد بنكراد طبعة دار الحوار مكتبة الأدب المغربي طبعة سنة ٢٠٠٠ م ص ١٥ .

واستخلاص البنية الدلالية للنص ، ويراه بعض النقاد مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج النصي " [١] .

ودلالة هذا العنوان توحي بأن المسرحية من أولها حتي آخرها تدور حول معالم ومطامع تلك الشخصية اليهودية المريبة ، حيث إن شيلوك باكثير هو نفسه شيلوك شكسبير في خسته وخبثه ودهائه، ولا فارق بينهما في استحلال المحرمات ، وفعل الفواحش والموبقات من أجل تحقيق أهدافهما الشيطانية الخبيثة والوصول إلي أحلامهما الشيطانية الخبيثة .

وصدّر باكثير تلك المسرحية بالآية الكريمة " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ" (المائدة الآية ٨٢) . ولتلك الآية الكريمة دلالة عميقة من وراء أحداث تلك المسرحية ، حيث توحي بشدة عداء شيلوك للعرب ، وكراهيته لهم ، وتكريس حياته وممتلكاته لإنشاء كيان صهيوني متطرف علي الأراضي العربية مهما كان الثمن والتضحيات .

وعنوان المسرحية الثانية " شعب الله المختار " وهو مصطلح يهودي وعنصري متطرف ومحرّف في كتبهم المحرفة المكذوبة ، يؤمنون ويدينون به ، ويتعاملون مع سائر أجناس البشر الأخرى باستعلاء وتكبر علي أساس هذا المصطلح العنصري المتطرف ، وقد أشار القرآن الكريم إلي هذا التطرف العنصري وذلك في قوله تعالي : " وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ

(١) السيمياء والنص الأدبي . منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر ١٥-١٧ طبعة نوفمبر سنة ٢٠٠٨ / ص ١٧ .

قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ " ١٨ المائدة .

ويحمل هذا العنوان المثالي في ظاهره مفارقة معنوية واضحة وجلية مع مضمون ومحتوي المسرحية التي تشير إلي خسة طباع اليهود ودناءة أخلاقهم التي تتنافي مع كونهم شعب الله المختار كما يزعمون .

وعنوان المسرحية الثالثة " إله إسرائيل " ويحمل هذا العنوان دلالة واضحة وصريحة ومؤكدة علي مادية اليهود المفرطة، وتطرفهم الديني المقيت ، فهم ماديون لا يؤمنون ولا يصدقون إلا بما يلمسونه ويشاهدونه أمامهم ، فمعبودهم المال والذهب ، وإلاهم إبليس اللعين الذين يظهر لهم ويتحدث إليهم ، فيؤمنون به ويصدقونه . وعبر القرآن الكريم في إشارة إلي هذا التطرف الديني لديهم في قوله تعالي علي لسان بني إسرائيل لنبي الله موسي عليه السلام : " وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ " الأعراف ١٣٨ .

وصدّر باكثير هذه المسرحية بالآية الكريمة " وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " .

وتوحي تلك الآية الشريفة بما تحمله تلك المسرحية من مشاهد فضح لمكائد اليهود وإظهار عداوتهم للعرب ولغيرهم من الأمم ، وإيقادهم في كل مكان وزمان نيران الفتن والحروب التي يستظلون بلظاها ، ويعيشون علي حطامها .

أما المسرحية الخامسة التي حملت عنوان " التوراة الضائعة " فهو عنوان يوحي بالصراع المحتدم في هذه المسرحية بين الحق والباطل ، والتزييف والصدق ، حيث إنكار كل ما تدين به اليهود في كتبهم المزيفة المحرفة من أباطيل

وأكاذيب مختلقة ، والوصول في نهاية المسرحية إلي الحق والنور الذي أنزله الله تعالي في كتبه وأمر به أنبيائه ورسله الكرام .

التقنية الثانية : تقنية التناص :

حرص باكثير في مسرحياته الفلسطينية الطويلة أن يضمنها العديد من النصوص والشواهد التي من شأنها أن تسهم في تدعيم وتقوية رؤيته الفنية تجاه قضية فلسطين وتصوير زواياها واتجاهاتها المختلفة ، فقد لا يتفق الجميع أو يسلموا برؤية الكاتب ونظرته تجاه ما يعرضه من قضايا وموضوعات ، وما أن يضمن الكاتب والأديب أعماله الإبداعية ببعض النصوص والشواهد ذات الصلة الوثيقة بما يعرضه من تلك الموضوعات والقضايا حتي يكون ذلك أدعي إلي الاقتناع والقبول والتسليم بما يكتب او يقول .

وتنوعت تلك النصوص والشواهد التي استعان بها باكثير في مسرحياته المبحوثة ما بين نصوص مقدسة من القرآن الكريم ، ونصوص أخري من التوراة والإنجيل وبعض الكتب الشارحة لها ، ونصوص أدبية وتراثية وأمثال شعبية وأقوال مأثورة .

التناص مع القرآن الكريم :

وبدأ التناص أو التضمين القرآني بنوعيه : اللفظي والمعنوي واضحا وحاضرا بقوة في مسرحيات باكثير الفلسطينية ، فمن صور التناص اللفظي أو التضمين بنص الآية بداية من خلال الآيات القرآنية الكريمة التي صدّر بها باكثير معظم مسرحياته الفلسطينية الطويلة ، والتي ترتبط من قريب بأحوال اليهود مع أنبيائهم ورسلهم ، وبعضا من مصائرهم في الماضي والمستقبل ، وطرفا من أخلاقهم وطبائعهم المشينة .

من ذلك تصدير المسرحية الثانية (الحل) في شيلوك الجديد بقول الله تعالي : " وإذ تأذن ربن ليبعثن عليهم ..... "

وجاءت هذه الآية مناسبة تمام التناسب مع ما تضمنته المسرحية الثانية من حل لعقدة ومشكلة المسرحية الأولي حيث كان الحل في اجتثاث دولة إسرائيل نهائيا من فلسطين وإعادة أهلها المهجرين إليها .

أما عن صور ومظاهر التضمين والتناص المعنوي مع آيات القرآن الكريم فهي كثيرة ومتعددة في مسرحيات باكثير ، فمسرحية " إله إسرائيل " قامت علي مضمون قصة أنبياء الله تعالي موسي وهارون وعيسي – عليهم السلام– مع بني إسرائيل ، وما دار بيهم من حوار وجدال .

التناص مع نصوص التوراة :

ومن نصوص التوراة – وإن كانت محرفة – قول باكثير علي لسان جوزيف وهو يحاور جيم في مسرحية التوراة الضائعة :

جوزيف : خذ مثلا في الوصايا العشر من سفر الخروج . لا تشهد علي قريبك شهادة زور . والمقصود بالقريب هنا اليهودي (يقلب الصفحات) وخذ أيضا. ليمت جميع الناس ويحيي إسرائيل وحده . يرفعك الله فوق جميع الشعوب في الأرض ويجعلك الشعب المختار المقدس.

التناص مع الأمثال والأقوال المشهورة :

ومن صور التضمين والتناص مع بعض الأقوال والأمثال المأثورة الاستعانة بالمثل العربي الشهير : " فبيدي لا بيد عمرو " وذلك في مسرحية " شيلوك الجديد " أثناء الحوار الذي أجراه باكثير في قاعة المحكمة الدولية بين رئيس المحكمة وميخائيل جاد :[1]

ميخائيل : فالصهيونيون أيها السادة كانوا يساومون الدول ..... فبيدي لا بيد عمرو :

(١) شيلوك الجديد ص ١٤٥ .

الرئيس : ماذا تعني بهذه العبارة الأخيرة ؟

ميخائيل : " يبتسم" هذا يا سعادة الرئيس مثل عربي قديم يضرب لمن يحيط به عدوه فتدفعه الأنفة إلي أن يقتل نفسه بيده قبل ان يقع في يد عدوه فيقتله أو يهينه .

ومثله كذلك حوار ميخائيل جاد داخل المحكمة الدولية :[١]

ميخائيل : " ينهض ضاحكا " أيها السادة ، قد تسألوني ماذا يضحكني في هذا الموقف ؟ وجوابي علي سؤالكم المثل القائل : عن شر البلية ما يضحك ، ومن يعش رجبا يشهد عجبا ، .....

التناص مع النصوص الشعرية :

ومن التناص مع النصوص الشعرية حوار عبد الله الفياض داخل المحكمة : [٢]

عبد الله الفياض : " ينهض مغضبا " أمع أمثال هؤلاء يجدر بنا التسامح والكرم ؟ لقد صدق شاعرنا أبو الطيب المتنبي إذ يقول :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته .. وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندي في موضع السيف للعدا .. مضر كوضع السيف في موضع الندي

التناص مع أحداث التاريخ :

إن التاريخ عند باكثير " معرض للنقد وهو ليس حريصا علي الصدق التاريخي في أعماله بقدر حرصه علي الصدق الفني وهذا هو المطلوب من

(١) شيلوك الجديد ص ١٤٥ .

(٢) السابق ص ٢١١ ..

الفنان وليس حرصه علي التاريخ إلا بالقدر الذي يتيح له استخدام التاريخ استخداما دراميًا " [١].

ومن صور التناص عند باكثير مع أحداث ووقائع التاريخ الإسلامي ما جاء في مسرحية شيلوك أثناء مرافعة ميخائيل في المحكمة الدولية :[٢]

ميخائيل : يا حضرات المستشارين . أما وقد وصلت إلي هذه النقطة من الحديث فلا أستطيع أن أبرئ قومي العرب من التقصير في الدعاية الواجبة لقضيتهم الكبرى وتنوير أذهان الشعوب بحقيقة موقفهم العادل وحقهم الثابت . وتصوير ما يتهددهم من الخطر الصهيوني الساحق الماحق . فتركوا المجال بذلك لليهود ليدلسوا علي العالم .ويتخذوا من اضطهاد النازية لهم قميص عثمان يستدرون به دموع العالم الذي يجهل حقيقة الأمر علي ما حلّ بهم من ويلات النازية .

الرئيس : ما معني قميص عثمان ؟ أهذا مثل عربي آخر ؟

ميخائيل : نعم سيادة الرئيس . كان عثمان بن عفان الخليفة الثالث من خلفاء المسلمين قد قتل في ثورة أهلية فتنازع الحكم بعده علي ومعاوية ، وقد استغل معاوية الظرف الذي وقعت فيه الحادثة فأشاع في الشام اتهام علي بأن له يدا في قتل الخليفة الشهيد . واتفق أن وقع في يده القميص الذي طعن فيه عثمان فاخذ ينشره علي عيون الناس في المنبر . ليحملهم علي نصرته في المطالبة بدمه من علي وحزبه .

---

(١) أدب باكثير المسرحي أحمد السعدني ج ١ المسرح السياسي طبعة مكتبة الطليعة سنة ١٩٨٠ م ص ٣٠٥ .

(٢) شيلوك الجديد ص ١٦٥ .

فاستدعي باكثير في هذا النص حادثة قتل أمير المؤمنين عثمان – رضي الله عنه – والصراع السياسي الذي شبّ بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان علي الخلافة .

وكذلك التناص مع تاريخ العصور الوسطي من خلال لقاء صلاح الدين الأيوبي مع ريتشارد قلب الأسد في مسرحية " التوراة الضائعة " ، وتذاكر مع وقع بينهما من حروب وصراعات حول بيت المقدس ثم أعقبها هدنة بين الطرفين .

وفي مسرحية التوراة الضائعة يتفاعل باكثير مع الأحداث الإنسانية والتاريخية علي مر العصور ، فنجده يذكر في مشهد خيالي جمع بين ريتشارد وصلاح الدين وهما يسردان بعض الفظائع والأهوال التي قام بها اليهود علي مر التاريخ :

ريتشارد : إنك لا تعرف يا صلاح الدين ما فعلوا بنا نحن المسيحيين علي توالي القرون ، لقد ذبحوا منا مئات الألوف في روما وفي ليبيا وفي قبرص وفي أنطاكية .

صلاح الدين : وفي اليمن إن كنت لا تعرف ؟

ريتشارد : ماذا فعلوا في اليمن ؟ صلاح الدين : حفروا في الأرض أخدودا كبيرا وأوقدوه بالنيران ثم ألقوا فيه بآلاف من المسيحيين ليحترقوا أحياء .

ريتشارد : أين وجدت هذا ؟ فإني لم أسمع به .

صلاح الدين : هذا حادث مشهور تعرفه وترويه العرب . ثم جاء القرآن فوصفه وندد به في سورة كاملة . ريتشارد : ذكر هذا في القرآن ؟ صلاح الدين: نعم .

وهكذا استطاع باكثير أن يستعين في مسرحياته بالحوادث التاريخية المتعددة لكي يؤكد علي مدي جرم اليهود وإفسادهم المتواصل بحق البشر قديما وحديثا .

التقنية الثالثة : تقنية المقارنات والموازنات

يلجأ باكثير في مسرحياته كثيرًا إلي عقد مقارنات وموازنات سواء بين الأفراد والشخصيات داخل المسرحية ، أم بين الحكومات والدول وبعضها البعض ، وذلك بغرض التأكيد علي مدي قبح ودناءة الشخصية الصهيونية وتجردها من كل معاني الإنسانية المعهودة بين البشر .

ففي مسرحية شيلوك الجديد لم يكتف باكثير باستعارة اسم شيلوك الجديد عنوانا لمسرحيته من الرواية العالمية الشهيرة لشكسبير " تاجر البندقية " بل إنه أشار في تلك المسرحية صراحة إلي تلك الرواية وأثرها علي مسرحيته ، وما بين بطلها شيلوك البندقي عند شكسبير وشيلوك الصهيوني في مسرحيته من تقارب واختلاف في الأفكار والمخططات ، وقد أشار باكثير إلي ذلك في أثناء جلسة المحاكمة الخيالية التي عقدها للتشاور في قضية فلسطين علي لسان ميخائيل محامي العرب وفلسطين في قوله : (١)

ميخائيل : " ينهض " يا حضرات المستشارين . إن من عجائب الاتفاق كما أشار إلي ذلك المندوب البريطاني المحترم أن يكون خصمي هذا سميًا لشيلوك البندقي الذي صوره الشاعر الكبير شكسبير في روايته الخالدة ، وأن يكون مطلب هذا كمطلب ذاك . وقصاري الفرق بينهما أن مطلب شيلوك القديم يتعلق بحياة فرد كريم من تجار البندقية ، أما شيلوك الجديد فيتعلق مطلبه بحياة شعب كريم يربو عدد أفراده علي سبعين مليونا هم أحفاد أولئك الذين بنوا الحضارات العظيمة الأولي في الشرق ، يوم أن كانت الإنسانية تتخبط في دياجير الجهالة علي صعيد البربرية ، فقادوا الإنسانية وما يزال في وسعهم أن

(١) انظر شيلوك الجديد ص ١٥٥ .

يقودوها إلي الخير والحق والجمال بما امتازوا به من سلامة الفطرة والشهامة والكرم والإيثار" .

ففي هذا النص يكشف باكثير عن أوجه الشبه والاتفاق والاختلاف بين شيلوك القديم وشيلوك الجديد ، في إطار من الربط الفني بين العملين ، لكي يصل في النهاية إلي حقيقة ثابتة مفادها أن حقيقة اليهود والصهاينة واحدة وثابتة في كل زمان ومكان ، لا تتغير ولا تتبدل ، متفاوتة في النسب من جيل لآخر ، وذلك حتي لا ينخدع بهم أحد أو يغتر بهم مهما طال الزمان وامتد .

وفي حوار في مشهد خيالي في مسرحية التوراة الضائعة يجري باكثير حوارا بين ريتشارد وصلاح الدين يقارن فيه بين حال فلسطين إبان حكم العرب وحكم الاحتلال لها في قوله :[١]

ريتشارد : أتذكر يا صلاح الدين إذ عقدنا بيننا صلح الرملة لقد كان في وسعي أن أواصل القتال حتي أستولي علي أورشليم ، ولكني تركت ذلك ثقة مني بأن بقاءها في أيديكم خير من وقوعها في أيدي بعض امرائنا الصليبيين . وتتركونها تسقط اليوم في أيدي قتلة المسيح ؟

صلاح الدين : التبعة في ذلك يا صديقي علي الدول المسيحية الكبرى في الغرب وعلي قومك الإنجليز خاصة ، فهم الذين باعوا فلسطين لليهود بعدما باعوا لهم دينهم وكرامتهم .

ففي هذا المشهد الخيالي يعقد باكثير مقارنة بين بقاء فلسطين والقدس تحت حكم أصحابها من العرب ، وتنعم أهلها وزوارها بالأمان والسلام ، وبين بقائها تحت حكم المحتلين سواءً من الصليبيين أم اليهود الذين لم يتورعوا عن استباحة الدماء وانتهاك الحرمات بها

(١) التوراة الضائعة ص ٨ .

التقنية الرابعة : تقنية المشهد العجائبي :

علي الرغم من تعرض باكثير في هذه المسرحيات الخمس لمعالجة قضية فلسطين وهي أشد وأخطر القضايا العربية والإنسانية ارتباطا بالواقع والمجتمع غير أنه كان يلجأ في بعض الأحايين إلي النزوع والهروب بخياله إلي العالم الغيبي يستخلص منه بعض الصور والمواقف الغرائبية أو العجيبة ، إيمانا منه بالمستقبل الغيبي الذي تحدث عنه القرآن ، وما وعد الله فيه عباده وخلقه بالمثوبة أو العقاب جزاء ما قدموا في حياتهم الدنيا من أعمال .

ومن ذلك في مسرحية "التوراة الضائعة "مشاهد التصاق هتلر وهرتزل ببعضهما في الجحيم وتجرعهما العذاب المهين جزّاء ما فعلا بحق اليهود سواء بالتنكيل بهم علي يد هتلر ، أم بجلبهم إلي فلسطين كما فعل هرتزل ، كل هذا تحت سمع وبصر زبانية الجحيم الذين ينظرون إليهما ويصبون عليهما المزيد من اللعنة والعذاب ، وبمشاهدة صلاح الدين وريتشارد لهما .

ومن ذلك ما جري في الحوار بين هتلر وهرتزل وهما في الجحيم ملتصقان، ويريدان أن يتظاهرا بالمودة والمحبة حتى تفرق بينهما زبانية النار: [1]

هتلر : أما هذا فنعم فقد زكم أنفي من رائحتك النتنة .

هرتزل : ها هم قد أقبلوا . فلنتعانق وليقبل أحدنا الآخر . هتلر : نتعانق دون تقبيل .

هرتزل : بل لابد من التقبيل ليكون التمثيل أتم .

(يتعانق الظلان هتلر وهرتزل ، ويبدو عليهما الاشمئزاز ، ويظهر الزبانية الثلاثة في يمين المسرح ويقفون وهم يتهامسون وهم ينظرون إلي هتلر وهرتزل)

أحدهم : إن هؤلاء اليهود يظنون أن الله يمكن أن يخدع .

---

(١) التوراة الضائعة ٦٣ .

ثانيهم : سنخبرهما أننا سمعنا كل ما قالاه .

ثالثهم : كلا ينبغي أن نريهما أننا انخدعنا فنفرق بينهما لنري ماذا سيصنعان .

الأول : أجل هذا أفضل . هيه ماذا تفعلان أيها المجرمان؟

الاثنان : أجل نحن الآن صديقان حميمان . الأول : إذا فلنفرق بينهما .

هرتزل : كلا لا تفعلوا ن لم نستمتع بعد بهذه الصداقة .

هتلر : وأنا تعودت علي رائحته فما عادت تزكم أنفي

الأول : أيها المجرمان . إنما جمعناكما لتتعذبا لا لتستمتعا (يفرقون بينهما في عنف وهما يتباكيان) . فلا يخفي ما في هذا المشهد من أمور غيبية غريبة وعجيبة لم تقع بعد ، لكن باكثير استقبلها واستدعاها بخياله الخصب وفنيته العالية ، وبإيمانه بالغيب ليؤكد بها علي سوء عاقبة الظالمين الباغين .

وهكذا يتمكن المشهد الغرائبي أو العجائبي في المسرحية من كسر رتابة المسار الحواري في المسرحية ، والتمكين لأحداث المسرحية من النمو والانتقال إلي مرحلة جديدة من مراحل الصراع داخل النص المسرحي . وإضافة مزيد من عناصر الإثارة والتشويق للجمهور خارج حدود الزمان والمكان .

التقنية الخامسة : (تقنية المفارقة)

تعرف المفارقة بأنها "بنية جمالية هدفها إحداث أبلغ الأثر ، تعتمد علي الانقلاب في الدلالة وإحداث هوة بين المظهر والحقيقة ، أو بين التوقع والحدث ، أو بين ما يقال وما ينتظر قوله " . (١)

(١) الحداثة في الشعر اليمني المعاصر . عبد الحميد الحسامي . وزارة الثقافة بصنعاء طبعة ٢٠٠٤ م ص ١١٢ .

والمفارقة تأتي بظهور النص أو العبارة في صورة ما ، ومن خلفها تبرز صورة أخري أو معني خلف هذا المعني الظاهر يختلف عنه ويفارقه .

وظهرت تقنية وأسلوب المفارقة في مسرحيات باكثير الفلسطينية المطولة في صورة عدة : منها ما يأتي في عنوان المسرحية ، ومنها ما يتعلق بمضمون المسرحية ومحتواها ، ومنها ما يتعلق بالمواقف المتباينة بين شخصيات المسرحية.

فمن صور المفارقة في عنوان المسرحية ما يبدو لنا في عنوان مسرحية " شعب الله المختار " فالعنوان في ظاهره يوحي بأن بني إسرائيل علي حد زعمهم الكاذب أنهم أفضل الشعوب وأرقاها وأزكاها، طالما أنهم قد نسبوا أنفسهم إلي الله تعالي بالاختيار والتفضيل . لكن مضمون المسرحية ومحتواها الداخلي يكشف عن غير ذلك تماما فهم معتدون ،وكاذبون ، وشهوانيون ، وبخلاء ، ولا عهد لهم ولا ذمة ، ومثل هؤلاء هم أبعد الخلق عن الله تعالي أو الانتساب إليه .

وكذلك عنوان مسرحية " إله إسرائيل " فالإله أو الرب في صورته المعهودة المفترضة أنه حريص علي عبيده ، محب لهم ، ناصح أمين لهم ، لا يأمرهم إلا بالخير ، وينهاهم عن كل سوء وشر . لكن مضمون المسرحية يكشف خلاف ونقيض ذلك تماما ، فإله بني إسرائيل الذي عبدوه وأطاعوه وهو إبليس اللعين لا يأمرهم إلا بالسوء والفحشاء والمنكر والإفساد في الأرض ، ولا يحثهم علي فعل خير أو إصلاح في الأرض .

ومن أمثلة المفارقة بين مواقف الشخصيات ما كان عليه كوهين في مسرحية " التوراة الضائعة " من تطرف ديني ، وانحراف عن الفطرة الإنسانية السوية ، حيث كان لا يتلذذ بطعام يأكله إلا إذا شاهد أهل فلسطين وهم ينكل بهم

علي يد جنود الصهاينة ، بينما نجد ابنه جيم لا يقبل بتلك المشاهد اللاإنسانية المؤلمة التي تأباها الفطرة السليمة ، بل تسببت له في ألم نفسي مرير. [١]

جيم تعال انظر يا بني . جيم : أنظر ماذا ؟

كوهين : تعال متع عينيك . (يعطه المنظار)

جيم : ينظر قليلا ثم يرتد) أي متعة في هذا ؟

كوهين : أكنت في السينما ؟ جيم : نعم . كوهين : أليس هذا أمتع من الأفلام الخيالية ؟

جيم : (يناوله المنظار) استمتع انت بها وحدك فقد دفعت فيها مليون دولار .

ففي هذا الحوار تبدو لنا مفارقة بين موقف الأب وابنه ، حيث يتطلع الأب المتطرف إلي الرغبة والشره في رؤية الضحايا الأبرياء من أهل فلسطين وهم يعانون من بطش اليهود وعدوانهم ، في حين يرفض الابن رؤية تلك المشاهد وينكرها ، بل ويتألم منها ومن رؤيتها .

وكذلك في مسرحية " التوراة الضائعة " في حوار خيالي بين صلاح الدين وريتشارد : [٢]

صلاح الدين : هل سمعت عن أمريكا يا قلب الأسد ؟ ريتشارد : أمريكا ! أي شي أمريكا هذه ؟

صلاح الدين : أكبر شيء في الدنيا وأحقر شيء فيها ! ريتشارد : لقد زدتني بها جهلا . ألا تفصح وتوضح ؟ صلاح الدين : القارة الجديدة التي كشفت بعد موتنا بقرون .

---

(١) التوراة الضائعة ص ٢٢

(٢) التوراة الضائعة ص ٨ .

في هذا الحوار تبدو مفارقة معنوية في وصف باكثير لأمريكا ، حيث وصفها بأنها أكبر شيء في الدنيا، وهذا الوصف لها يحتم عليها أن تكون راعية للسلام وحاضنة للعدل والمساواة بين الدول دون تمييز، بحكم قوتها وحجمها ، لكن الواقع يخالف ذلك الأمر تماما، فنراها مؤيدة للظلم والاحتلال ، معينة للصهاينة اليهود في عدوانهم وبطشهم بأهل فلسطين ، مما جعل باكثير يتبع ذلك الوصف لها بأنها مع كبرها وقوتها إلا أنها أحقر شيء في الدنيا ، وذلك لما تبديه من مساندة ووقوف بجانب الغاصبين المحتلين من الصهاينة اليهود .

التقنية السادسة : تقنية الحذف .

ويقصد بتقنية الحذف هنا أن المتكلم لا يتم كلامه الذي تتم به الفائدة، وإنما يترك للمخاطب فرصة لاستنباط بقية الكلام بذهنه وفكره ، ويضع الكاتب نقاطا مكان ذلك الكلام المحذوف.

ومن صور تقنية الحذ عند باكثير في ما نجده في الحوار الذي دار بين شيلوك وراشيل :[1]

شيلوك : هل ثم من شيء تكتمينه عني ؟ راشيل : " تشير برأسها نعم " .

شيلوك : ما هو يا راشيل ؟ أخبري عمك شيلوك . إنه بمنزلة أبيك .

راشيل : أشعر بأعراض .....

شيلوك : ها . فهمت . وهوني عليك يا بنيتي فهو أمر بسيط ، لا يستدعي كل هذه الدموع .لكن لماذا لا تتخذي الاحتياطات اللازمة يا راشيل ؟

راشيل : اتخذتها يا عمي ولكن .....

(١) شيلوك الجديد ص ٥٠ .

شيلوك : نفذ السهم هه ؟ أخشي أن يكون هذا العربي أعجبك يا راشيل . لا تنسي يا ابنتي وأنت تحنين إليه أنه عدوك .

فأسلوب الحذف في هذا الحوار يجسد حالة الحياء والتردد في نفس راشيل من التحدث عن أعراض الحمل الذي ظهر عليها إثر وقوعها في الفاحشة مع عبد الله ، لكن شيلوك استطاع بخبرته ودرايته بأخلاق اليهود أن يتعرف علي ما تعمدت السكوت عنه .

ومن ذلك أيضا في حوار عبد الله الفياض مع شيلوك في قوله : [١]

عبد الله : لكن هذه الكمبيالات التي لم أسحب مبالغها بعد كيف أوقعها ؟

شيلوك : " يضحك " أما تثق بذمتي يا صديقي الأستاذ ؟

عبد الله : بلي ، أثق ولكن ....

فنري سكوت عبد الله في هذا الحوار نتج عن حالة الارتباك والتخبط التي وقع فيها مع شيلوك .

وهكذا نجد أن الحذف سمة من سمات الحوار الخارجي يضطلع بإثراء دلالة النص ، ويقول كثيرا مما لا يقال وما لم يقل .

التقنية السابعة : تقنية وصف هيئة الشخصية وانفعالاتها

لا يكتمل المشهد المسرحي بصورة واضحة وجلية أمام الجمهور أو المتلقيين إلا إذا اجتمع في ذلك المشهد أمران : الأول : دقة ووضوح وسلامة النص الحواري المكتوب الذي يجريه الكاتب علي لسان كل شخصية في المسرحية ، بعد توظيفها توظيفا أدبيا وفنيا سليما .

الأمر الآخر : تصوير ملامح وأحوال وهيئات الشخصيات المتحاورة داخل المسرحية ، وكذلك تصوير الانفعالات الشعورية والنفسية التي تعتري كل

(١) شيلوك الجديد ص ٦٠ .

شخصية أثناء حوارها داخل المشهد المعروض ، بحيث يتمكن القارئ للنص المسرحي أن يحيط بملامح ودقائق الشخصيات التي يقرأ حوارها وكأنه يشاهدها بعينيه علي خشبة المسرح . وعادة ما يضع الكاتب الكلام الخارجي الذي يصور تلك الأحوال والانفعالات بين علامتي تنصيص ليفرق الكاتب بينها وبين نص الحوار الدائر بين الشخصيات .

وقد برع باكثير في تصوير تلك الملامح والانفعالات التي تحيط بالشخصية وتعتريها أثناء الحوار ، ومن أمثلة تصوير باكثير لملامح وهيئة الشخصية في المشهد قوله عن شيلوك :(١)

" ويظهر شيلوك وهو جالس علي مكتبه ، وهو رجل في نحو الستين من عمره قامته قصيرة كبير الرأس قد أكل الصلع وسطه من مقدمه إلي مؤخره فتركه أملسا لامعًا ، وأبقي قرعتين من الشعر الأبيض علي جانبيه . وله عينان كبيرتان يسطع منهما بريق عجيب كبريق عيني البومة يظلهما حاجبان كثيفان قد تهدلا قليلا وفوقهما جبهة ضيقة كلها تجاعيد . وقد غارت وجنتاه فنتأ عنهما أنف دقيق الأرنبة منبعج المنخرين وهو دقيق الفم رقيق الشفتين ، لا ينفك عن تحريك شدقيه في حركة دائرية كأنه يمضغ شيئا . وله لحية بيضاء كثيفة الشعر مقصوصة الجوانب بحيث يبدو أسفل وجهه في شكل نصف دائرة " .

ومن أمثلة ذلك التصوير لملامح وانفعالات الشخصية ، الحوار المحتدم الذي جري بين عبد الفياض وعمه كاظم وزوجته جليلة بعد علمهما بمجيء راشيل إليه في المنزل :(٢)

(١) شيلوك الجديد ص ٥٠ .

(٢) شيلوك الجديد ص ٢٢ . ٢٣ .

عبد الله : اسمع يا عثمان (الخادم) اخرج الآنسة راشيل من باب الحريم وانطلق بها إلي فندق الملك داود ثم عد إلي بالسيارة ولا تدع عمي يراك .

عثمان : سمعا يا سيدي .

عبد الله : اتبعيه يا راشيل سوف ألحق بك حالا . " يخرج عثمان من الباب الداخلي وتتبعه راشيل " . عبد الله : " يصلح رابطة عنقه ويحاول كتم اضطرابه " عجبا ما الذي جاء بكم يا عمي مبكرا اليوم علي خلاف العادة ؟ أهلا يا ميخائيل بك .

ميخائيل : اهلا بك يا عبد الله . كيف حالك يا بني ؟ عبد الله : بخير والحمد لله .

كاظم : " يضحك ساخرا " بخير ولله الحمد بخير وهو يلعب .

" يسمع صوت جليلة هانم من الداخل وهي ثائرة غضبا " لا ..لا يمكن الصبر علي هذا . لابد من وضع حد لهذه الفوضى .

كاظم : ادخل يا عبد هنا . عبد الله : سمعا يا عمي . ها أنا دخلت . " يتقدم الاثنان إلي حيث يجلس ميخائيل وتقف جليلة هانم مضطربة "

كاظم : اجلس يا عبد الله هناك . عبد الله : " يتكلف الابتسام متجلدًا " سبحان الله ما لوجوهكم هكذا عابسة ؟ جليلة : كأنك لا تعرف السبب . ميخائيل : يا بني يجب عليك أن تراعي حرمة البيت .

فنري مفردات (يضحك ساخرا ، ثائرة ، مضطربة ، يتكلف الابتسام) وهي مفردات تصويرية معبرة عن انفعالات ومشاعر الشخصية النفسية أثناء الحوار .

ومثل تلك الإضافات التصويرية والتوضيحية كثيرة ومضطردة في مسرحيات باكثير كلها .

ونلحظ كذلك في مسرحيات باكثير وفرة وتنوع الشخصيات اليهودية ، وكان باكثير يستحضر تاريخ اليهود ويقدم الشخصية في رؤاها وطريقة تفكيرها ، وهذا

يعني أن باكثير كان في ذهنه حضور دائم للتاريخ اليهودي وهو ينتج تلك المسرحيات ، مما جعله يبرع في وصف ملامح وأبعاد الشخصية اليهودية داخليا وخارجيا .

التقنية الثامنة : تقنية الرمز

الأصل في الفن المسرحي الدرامي الوضوح والظهور ، وتجنب اللجوء إلي الإبهام أو الألغاز ، حيث يعالج الكاتب قضية ما في إطار من الحوار الصريح المباشر بين شخصيات المسرحية أمام الجمهور أو المتلقين لهذا العمل ، لكن لظرف ما قد يلجأ الكاتب أو الأديب إلي التعبير بالرمز بديلا عن التصريح في بعض المشاهد والمواقف المسرحية ، حيث إن الرمز " وسيلة للتعبير عن زوايا غامضة في النفس لا تقوي اللغة أن تعرب عنها " (١).

وقد لجأ باكثير في مسرحياته الفلسطينية إلي التعبير بالرمز في بعض المواقف والمشاهد التي يكون التعبير بالرمز فيها أبلغ وأوقع أثرًا من التصريح المباشر .

ففي الجزء الثالث من مسرحية " إله إسرائيل" الذي جاء بعنوان " الحية " والذي تدور أحداثه في العصر الحديث ويتحدث عن بداية الحركة الصهيونية بانعقاد مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ م ، نجد باكثير وقد وظّف في هذا الجزء الرمزية توظيفًا فنيًا بالغًا ومؤثرًا ، وذلك في مشهد : (٢)

إبليس : يا معشر بني النار يا جنودي المخلصين انظروا إلي هذه الخريطة ماذا ترون فيها ؟

الشياطين : الحية المقدسة . أختنا في الكفاح ! ورفيقتنا في الكفاح .

---

(١) الرمزية والأدب العربي الحديث . أنطون غطاس كرم دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع لبنان طبعة سنة ١٩٤٩ م ص ١٢ .

(٢) مسرحية إله إسرائيل ص ١٢٥ .

إبليس : انظروا هل بقي من بلد في العالم لم تلف جسمها عليه ؟

الجميع : لا ، فقد لفت جسمها علي كل بلد في العالم . إبليس : فقد أصبح شعبي المختار مسيطرا علي مقاليد السلطان في العالم كله ، انظروا إلي رأسها أين تتجه ؟

الجميع : إلي فلسطين ! إبليس : ذلك ميثاق لشعبي المختار حين تكتمل الحية دورتها لأعيدنه إلي فلسطين ولأبنين له فيها دولة الدول لتكون قاعدة الملكوت الذي سأبسطه في الأرض .

حيث تظهر الحية علي جدار المسرح الذي رُسمت عليه خريطة العالم وقد التفت الحية حول الجدار ، ورأسها متجه نحو فلسطين ، ويشير هذا المشهد الرمزي إلي أن الخطر الصهيوني القادم سيشمل الجميع ، ويتمدد بأذرعه الشيطانية في كل مكان . وقد فصلت المسرحية في الحوار بين الزعامات الصهيونية في المؤتمر وعلاقاتها بالماسونية وبإبليس – لعنه الله – بشكل رمزي، وقد تعجب إبليس نفسه من استنفاد الصهيونية لكل أبواب الشر ، ولم يتركوا له شيئا ، فيفكر في التوبة إلي الله ، ويخلص إلي تزويج الشياطين بالصهاينة ليتحكم فيهم ويصبح إلاههم .

فيبدو لنا أن رمزية الشيطان في هذا المشهد العجيب تبرز علاقة الصهيونية بالشر والإغواء والعصيان ، فالذي عذّب موسي وقتل يحي وحاول صلب المسيح – عليهم السلام – هو الذي يقيم المذابح في فلسطين ، ويستوطن الأرض شبرا شبرا متحديا العالم أجمع .

التقنية التاسعة : تقنية الحوار :

يعد الحوار من أهم عناصر التأليف المسرحي ، فهو الذي يوضح الفكرة الأساسية التي تقوم عليها المسرحية ويُقيم برهانها ، ويجلو الشخصيات ويفصح عنها ، ويحمل عبء الصراع الصاعد حتي النهاية ، وهذه المهمة يجب أن يضطلع بها الحوار وحده، ولا يعتمد في شيء من ذلك علي الشروح

أو التعليقات، ولكي يأتي الحوار قويا فاعلًا لابد من وجود أمرين مهمين : الأول وجود الصراع للأحداث الذي يكسب المسرحية القوة والحياة . والآخر : معرفة الكاتب ودرايته بطبيعة الشخصيات التي يوظفها في المسرحية بدقة ووضوح .

وحرص باكثير أثناء معالجته لقضية فلسطين في مسرحياته أن يقدم رؤيته الفنية والإبداعية حيال تلك القضية بأسلوب فني محكم ويسير ، اعتمد فيه علي دقة ومرونة الأداء اللغوي ، وانتظام وترتيب الحوارات المسرحية بما يتناسب مع أحوال الجمهور ولا ينفرهم منها . حيث إن " أكبر ما يعوق الجمهور عن استيعاب العمل الفني ، هو التواء العرض ، ووعورة السبيل إلي الفهم ، فإذا أحسنا عرض الفن عليه ، ويسرنا سبيله إليه ، عرف قدره ، وأحس تذوقه ، واستمتع به ، وآثره علي غيره ، بل لا يرضي به بديلا من بعد ." [١]

ومن ذلك الحوار الذي أجراه باكثير في مسرحية "التوراة الضائعة " بين جيم وجوزيف حول مدي صحة التوراة التي يدين بها اليهود من فسادها : [٢]

جيم : أريد يا مستر جوزيف أن ألقي عليك بعض الأسئلة . جوزيف ك هات ما عندك يا مستر جيم .

جيم : هل تعتقد في التلمود أنه كتاب مقدس ؟ جوزيف : نعم . هو شرح للتوراة فهو مقدس مثلها .

جيم: فما تقول في بعض الأوامر والنصائح التي وردت فيه مما ينافي الحق والقانون والأخلاق؟

(١) دراسات في القصة والمسرح . محمد تيمور المطبعة النموذجية بالقاهرة ص ١٩٣ .

(٢) التوراة الضائعة ص ٧٧ .

جوزيف : ليس في التلمود ما ينافي الحق والأخلاق . جيم : اعلم يا مستر جوزيف أنني أحفظ التلمود كله عن ظهر قلب . جوزيف : ليست العبرة بالحفظ، وغنما بفهمه والعمل بمقتضاه .

جيم : يا مستر جوزيف إنني ما بدأت أشك في قدسيته إلا حين فهمته . جوزيف : فقد فهمته إذا علي غير وجهه . جيم : اشرح لي إذن قوله : إن الله لا يغفر ليهودي ذنبا يرد لأمي ماله المفقود .

جوزيف : قال ميمانود : إذا ردّ اليهودي إلي الأمِّي ماله المفقود فإنه يرتكب إثما كبيرًا ، لأنه بعمله هذا يقوي الكفار ويعرب عن حبه للوثنيين ومن أحبهم فقد أبغض الله .

جيم : ألا تري أن هذه النصوص تخالف روح التوراة ؟ جوزيف : أنت مخطئ هذه روح التوراة الحقيقة . جيم : الآن أشك في هذه التوراة أيضا أن تكون هي توراة موسي .

التقنية العاشرة : تقنية الصراع

يعد الصراع من أهم عناصر بناء المسرحية الأدبية الحديثة ، وهو يتولد ويوجد داخل المسرحية من الاختلاف والتناقض بين شخصيات المسرحية المتعددة ، هذا التناقض والاختلاف الذي ينشأ عنه في النهاية التناغم والانسجام التام الذي يحقق الوحدة المنشودة في العمل الأدبي .

ولكي يحتدم الصراع داخل المسرحية ويحقق هدفه ويستمر قويًا إلي النهاية يجب أن تكون بين شخصيات المسرحية شخصية محورية من الطراز القوي العنيد الذي لا يقنع بأنصاف الحلول ، وإنما يثابر ويعاند حتي يحقق كل ما يصبو إليه أو يتحطم دونه .

ومن نماذج ذلك الصراع في مسرحيات باكثير ما ظهر في الحوار الذي أجره باكثير في مسرحية "شيلوك الجديد" في قاعة المحكمة الدولية التي أقامها

باكثير في ختام المسرحية للنظر في قضية فلسطين، وذلك في الحوار المحتدم بين كوهين محام اليهود وفيصل محامي العرب : [1]

الرئيس : أتنكر يا سيد شيلوك أن العرب كانوا مستوطنين في فلسطين قبل تدفق سيل المهاجرة اليهودية ؟ شيلوك : كلا ، لا أنكر هذا الاستيطان ، ولكن حق العرب القائم عليه قد انتقل إلينا بمقتضي الصك الذي بأيدينا .

الرئيس : هل تعني أنكم اشتريتم هذا الصك بالثمن ؟ شيلوك : بالطبع يا سيدي الرئيس لم يعط لنا صدقة . الرئيس : ما أحس أن بريطانيا تبيح لنفسها أن تبيع بلاد قوم لقوم آخرين .

كوهين : إننا سوف نعيش في الوطن المعطي لنا . فيصل : إذن ففلسطين لا يمكن أن تستوعبكم جميعا . كوهين : لا حرج أن يعيش بعضنا في البلاد المجاورة الأخرى .

فيصل : سيكون هذا وضعا غريبا ، إذ لا توجد أمة تعيش أقليتها في وطن وأكثريتها في بلاد أخري

كوهين : ليس أمامنا غير هذا السبيل .

فيصل : لماذا لا تقترحون علي الدول المتحدة أن تضمن لليهود حقوقهم في كل بلد يكونون فيه من بلاد العالم وأن تتعهد لهم ألا يمسهم اضطهاد دون أن يحتاجوا إلي إقامة دولة يهودية ؟

كوهين : ولكننا نحب أن نشعر أن لنا وطننا ودولة هي دولتنا كغيرنا من الشعوب .

فيصل : في استطاعتكم أن تقترحوا علي الدول المنتدبة أن تعطيكم أرضا تسعكم من أستراليا مثلا وهي أخصب من فلسطين ، ولا ينازعكم فيها أحد ؟

---

(١) شيلوك الجديد ص ١٧٠ .

كوهين : لا نوافق علي هذا الاقتراح ، فقد عرض علينا مثله في أوغندا سنة ١٩٠٣ م فرفضناه ، لأننا لا نريد إلا فلسطين .

وهكذا يظل الصراع محتدما قويًا بين الطرفين متدرجًا في القوة والصعود ، حتي يبلغ في نهاية المطاف غايته ، ويحقق الهدف المرجو منه بالحكم لصالح فلسطين وطرد اليهود الغاصبين .

وبعد فمن خلال هذا التناول الموضوعي الشامل للقضية الفلسطينية في مسرحيات الأديب العربي الكبير علي أحمد باكثير، والتنوع الفني والتقني الذي برع في توظيفه في مسرحياته الفلسطينية استطاع باكثير بعبقريته وموهبته الفذة أن يعيد قضية فلسطين إلي صدارة وقمة القضايا العربية والإنسانية علي السواء ، وأن يعيد لفت أنظار وعقول أبناء الأمة إلي فداحة الخطر الصهيوني العالمي ، وأهمية التصدي له بكل الوسائل والطرق الممكنة ، من أجل استرداد وعودة هذا الحق العربي المغتصب المسلوب ، ووقف نزيف الدم الفلسطيني البريء الذي لم يتوقف إلي الآن .

الخاتمة والنتائج

وهكذا استطاع علي أحمد باكثير بعبقريته الأدبية الفذة أن يلم ويجمع في تلك المسرحيات الأدبية بأطراف ومحاور القضية الفلسطينية كافة ، منذ أن كانت فكرة شيطانية خبيثة في نفوس الصهاينة إلي صارت واقعًا مأساويا مريرا علي أرض الواقع . وعالج في تلك المسرحيات جذور تلك القضية بمهارة واقتدار أدبي وفني، وتنبأ بمخاطرها وأضرارها قبل أن تتسع وتستفحل علي أرض فلسطين . وجمع باكثير في تلك المسرحيات بين الرؤي والمواقف الخارجية العامة المتعلقة بتلك القضية من حيث تآمر القوي الاستعمارية الكبرى وتحالفهم من أجل إقامة وطن قومي لليهود علي أرض فلسطين ، ومن فضح تلك المخططات والتحذير منها، ومن كشف وفضح ما تنطوي عليه نفوس الصهاينة من خبث وفساد ، وما يضطرم بنفوسهم من نيران الحقد والكراهية ومشاعر الاستعلاء والتمييز عن كافة شعوب الأرض .

واستطاع باكثير كذلك أن يرسم ويضع لنا في تلك المسرحيات سيناريوهات درامية حقيقية وواقعية لملامح وأبعاد تلك القضية ، تحققت وصارت واقعا مؤلما مريرا بعد ذلك . مما يؤكد علي قيمة الفن ومدي فهم باكثير العميق ودرايته الواسعة للأحداث والوقائع التي عرضها في تلك المسرحيات ، ومما يحسب له كذلك أنه لم يكتف في تلك المسرحيات بالتسجيل الواقعي للأحداث فحسب ، بل تمكن من المزج بين المحافظة علي جوهر الموضوع وحمله في قالب فني جميل يثير القارئ ويجلب اهتمامه ويؤثر فيه .

وبعد هذا العرض المقتضب السريع لمسرحيات علي أحمد باكثير المطولة التي عالج من خلالها القضية الفلسطينية خلص البحث إلي عدة نتائج منها ما يلي :

- ريادة علي أحمد باكثير وسبقه في استعراض ومعالجة القضية الفلسطينية في مجال المسرحية الأدبية .

- كشفت تلك المسرحيات عن معايشة باكثير لأبعاد وحيثيات القضية الفلسطينية معايشة وجدانية وفنية صادقة ، استطاع من خلال تلك المعايشة أن ينتج هذا الكم المسرحي الغزير الذي أحاط بالقضية إحاطة واعية وشاملة .
- ربط باكثير أثناء معالجته للقضية الفلسطينية بين جذور القضية وماضيها الديني والتاريخي العتيق وبين حاضرها وواقعها العصري الحديث .
- استطاع باكثير بمهارة فنية عالية أن يوظف القصة القرآنية التي عالجت عصيان بني إسرائيل وتمردهم في خدمة القضية الفلسطينية توظيفا تاريخيا وفنيا بارعا .
- استطاع باكثير بخياله الخصب الواسع ومهارته الفنية العالية أن يجمع بين مشاهد الواقع والخيال ، ويربط بين حوادث الدنيا ومشاهد الآخرة في آن واحد وعمل واحد بتناسق وانسجام فني بديع ، دون أن يشعر القارئ بفجوة أو انفصال بين تلك الوقائع والأحداث .
- استطاع باكثير في تلك المسرحيات الفلسطينية أن يفند المزاعم الصهيونية الواهية ويضعف الحجج الكاذبة التي يتذرع بها اليهود من أجل إقامة وطن لهم بفلسطين .
- تميزت مسرحيات باكثير الفلسطينية بوفرة الحس السياسي الواقعي والاستشرافي ، حيث جسدت الفهم العميق للأحداث السياسية الجارية علي أرض فلسطين وتحليلها والتنبؤ بها .
- جاءت تلك المسرحيات السياسية مفعمة بالكثير من الرؤي الفكرية والمواقف السياسية التي عبر عنها باكثير تعبيرا فنيا وأدبيا منقطع النظير .
- استطاع باكثير من خلال تلك المسرحيات أن يجمع بين التسجيل الواقعي للأحداث المأساوية علي أرض فلسطين والمحافظة علي جوهر القضية وحملها في قالب فني جميل يثير القارئ ويجلب اهتمامه ويؤثر فيه .

- كشفت تلك المسرحيات عن انعدام القيم والأخلاق في المجتمع الصهيوني اليهودي ، وتحرر وتحلل الشخصية اليهودية، وتجردها من القيم والمثل الإنسانية .
- وظّف باكثير في مسرحياته الفلسطينية المطولة العديد من الجماليات والتقنيات الفنية العالية التي من شأنها أن ترتقي وتسمو بالعمل الفني المسرحي لديه .
- استطاع باكثير من خلال طرح رؤيته الفنية في تلك المسرحيات أن يعيد القضية مرة أخري إلي صدارة القضايا العربية بعد أن كادت تغيب وتطمس وسط قضايا ومشكلات الدول العربية الداخلية والإقليمية .
- وضع باكثير في مسرحياته الفلسطينية أمام قادة وشعوب الدول العربية بعض الرؤي والاقتراحات السياسية الفاعلة التي من شأنها أن تسهم في معالجة القضية الفلسطينية والانتصار لها ، من ذلك الحضور المحفلي والثقل الأممي العربي الكبير لعرض القضية والدفاع عنها كما أشار إلي ذلك في مسرحية شيلوك الجديد ، وعرض القضية وإبرازها أمام شعوب العالم أجمع وفضح الانتهاكات والجرائم الصهيونية بحق أهل فلسطين كما أشار إلي ذلك في مسرحية التوراة الضائعة .
- تمكن باكثير في تلك المسرحيات من توظيف عدد من الجماليات والتقنيات الفنية التي من شأنها الارتقاء بالعمل الفني المسرحي لديه .

مصادر ومراجع البحث

أولا المصادر :

* **القرآن الكريم .**
* مسرحية إله إسرائيل . علي أحمد باكثير مطبعة دار مصر للطباعة .
* مسرحية التوراة الضائعة . علي أحمد باكثير . الناشر مكتبة مصر .
* مسرحية شعب الله المختار لعلي أحمد باكثير . طبعة دار مصر للطباعة .
* مسرحية شيلوك الجديد . علي أحمد باكثير . الناشر مكتبة مصر دار مصر للطباعة .

ثانيا : مراجع البحث

* أدب باكثير المسرحي أحمد السعدني ج ١ المسرح السياسي طبعة مكتبة الطليعة سنة ١٩٨٠ م
* التمرد علي الصهيونية في الأدب الإسرائيلي المعاصر د محمد عبود طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١٣ م .
* الرواية السياسية الدكتور طه وادي طبعة الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان الطبعة الأولي سنة ٢٠٠٣
* المسرح هموم وقضايا للدكتور فؤاد دوارة طبعة شركة الأمل للطباعة والنشر الطبعة الأولي سنة ٢٠٠٥ .
* الفلسطينيون ينتصرون أخيرا . د محمد الجوادي الناشر دار جهاد للنشر والتوزيع بالقاهرة طبعة سنة ٢٠٠٣ م .
* القضية الفلسطينية في المسرح المصري د سيد علي إسماعيل منشورات مهرجان الكويت المسرحي سنة ٢٠٠٩ م .
* الحداثة في الشعر اليمني المعاصر . عبد الحميد الحسامي . وزارة الثقافة بصنعاء طبعة ٢٠٠٤ م .

* الرمزية والأدب العربي الحديث . أنطون غطاس كرم دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع لبنان طبعة سنة ١٩٤٩ م .
* المسرحية بين النظرية والتطبيق محمد عبد الرحيم عنبر الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٠ م
* السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها . سعيد بنكراد طبعة دار الحوار مكتبة الأدب المغربي طبعة سنة ٢٠٠٠ م .
* السيمياء والنص الأدبي . منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر ١٥-١٧ طبعة نوفمبر سنة ٢٠٠٨ .
* دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن دكتور محمد زكي عشماوي طبعة دار الشروق الطبعة الأولي سنة ١٩٩٤ م .
* دراسة في أدب باكثير لعبد الله الطنطاوي مطبعة البيداء للنشر والتوزيع الطبعة الأولي سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
* علي أحمد باكثير رائد القص التاريخي د يسري عبد الغني . منشورات سنة ٢٠٢٠ .
* علي أحمد باكثير القامة السامقة في الشعر العربي الحر د محمود محمد علي دراسات في القصة والمسرح . محمد تيمور المطبعة النموذجية بالقاهرة .
* علي أحمد باكثير . دراسات في أدبه د علي يوسف عثمان عاتي . منشورات جامعة سيئون بحضر موت باليمن سنة ٢٠٢٠م .
* فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية علي أحمد باكثير الناشر مكتبة مصر .
* قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر. د عز الدين إسماعيل طبعة دارالفكر العربي سنة ١٩٨٠ .
* مجلة الأدب الإسلامي عدد ٦٢ مجلد ١٦ شهر ربيع الأول سمة ٢٠٠٩ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
أولا : المقدمة	٣٦٣
التمهيد : القضية الفلسطينية في المسرح العربي الحديث	٣٦٧
المبحث الأول : علي أحمد باكثير حياته وفنه المسرحي	٣٧٥
المبحث الثاني : المدارات الموضوعية في مسرحيات باكثير المطولة عن اقضية الفلسطينية	٣٨١
المسرحية الأولي : شيلوك الجديد	٣٨٢
المسرحية الثانية : شعب الله المختار	٣٩٥
المسرحية الثالثة : إله إسرائيل	٤٠٣
المسرحية الرابعة : لباس العفة	٤١٣
المسرحية الخامسة : التوراة الضائعة	٤١٤
المبحث الثالث : تقنيات الفن في التعبير عن القضية الفلسطينية في مسرح باكثير	٤٢٤
التقنية الأولي : تقنية العتبات	٤٢٤
التقنية الثانية : تقنية التناص	٤٢٨
التقنية الثالثة : تقنية المقارنات والموازنات	٤٣٣
التقنية الرابعة : المشهد العجائبي	٤٣٥
التقنية الخامسة : المفارقة	٤٣٦
التقنية السادسة : الحذف	٤٣٩
التقنية السابعة : وصف هيئة الشخصية وانفعالاتها	٤٤٠
التقنية الثامنة : تقنية الرمز	٤٤٣
التقنية التاسعة : تقنية الحوار	٤٤٤
التقنية العاشرة : تقنية الصراع	٤٤٦
الخاتمة والنتائج	٤٤٩
المصادر والمراجع	٤٥٢
فهرس الموضوعات	٤٥٤